أخذ مسافة

فهم المدن ونظمها

ليا كامبل

ورقة العمل الصادرة عن "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP)

"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP)
هي شبكة نظامية هدفها تحسين أداء العمل الإنساني من خلال التعلم المشترك.
www.alnap.org

تمت هذه الدراسة بفضل الدعم السخي من الشعب الأمريكي، من خلال "الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية" (USAID). إن محتويات الدراسة هي مسؤولية "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP)، ولا تعكس بالضرورة وجهة نظر "الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية" (USAID) أو حكومة الولايات المتحدة.

إقتباس مُقترح: Campbell, L. (2016)، أخذ مسافة: فهم المدن ونظمها. ورقة العمل ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP). لندن: "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء"/"معهد التنمية الخارجية" (ALNAP/ODI).

حقوق النشر ©لعام 2016 ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء"/ "معهد التنمية الخارجية" (ALNAP/ODI). ترخيص هذا العمل بموجب "رخصة المشاع الإبداعي غير التجارية" (CC BY-NC 4.0).

الرقم الدولي المعياري للكتاب (ISBN) 978-1-910454-51-0

إدارة النشر والتواصل: أليكس جلين

تحرير: رو جريفيث

تحرير الببليوغرافا: رينيه جوليه

تصميم "سوب بوكس"
www.soapbox.co.uk

المحتويات

الشكر والتقدير ٥
الملخص التنفيذي ٦
١. مقدمة ٨
٢. المنهجية وقاعدة الأدلة ١١
٣. السياقات الحضرية ١٢
٣,١ ماذا يعني مصطلح "حضري"؟ ١٢
٣,٢ ما هي أسباب صعوبة فهم السياقات الحضرية؟ ١٤
٣,٣ لماذا ينبغي علينا أن نفهم السياقات الحضرية، وماذا يحدث عندما لا نفهمها؟ ١٨
٣,٤ هل السياقات الحضرية فريدة من نوعها أم أننا لا نحتاج إلا إلى إجراء تحليل جيد للسياق؟ ٢٠
٤. النهج النظمي لمقاربة المدن ٢٢
٤,١ ما هو النهج النظمي، وما هي آثاره؟ ٢٢
٤,٢ المخزون والتدفقات وحلقات التغذية المرتدة ٢٤
٤,٣ نظام تصنيف للنظم الحضرية ٢٥
٥. كيف يبدو النهج النظمي الذي يُستخدم لمقاربة السياقات الحضرية؟ ٣٣
٥,١ الاعتراف بالمدينة كنظام ٣٣
٥,٢ قبول عدم اليقين والتعقيد ٣٤
٥,٣ إدراك التغير والمرونة في النظم الحضرية ٣٥
٥,٤ النظر في السياقات الحضرية عبر نطاقات مختلفة ٣٦
٥,٥ التركيز على العناصر داخل النظم، وكيف يمثلون كيانًا واحدًا ٣٧
٥,٦ إدراك التسلسل الهرمي والعلاقات المترابطة داخل النظم الحضرية ٣٨
٥,٧ التركيز المكاني من دون التقيد بالجغرافيا ٣٩
٥,٨ النهج النظمي لفهم أصحاب المصالح في المناطق الحضرية ٣٩
٦. فهمنا الحالي للنظم الحضرية ٤٥
٦,١ ما هي المناهج التي اتبعها العاملون في المجال الإنساني لفهم السياقات الحضرية حتى الآن؟ ٤٥
٦,٢ ما الذي يقف في طريق الفهم الأعمق للنظم الحضرية؟ ٤٧
٧. الختام ٥٢
٧,١ الخطوات المقبلة ٥٢
التعليقات الختامية ٥٥
ملحق ١: مصفوفة أُطر/نماذج النظم الحضرية ٥٦
ملحق ٢: قائمة بمن أُجريت معهم المقابلات ٥٨

قائمة الأشكال

الشكل ١. ماذا يعني مصطلح حضري؟ ١٣
الشكل ٢. نظام تصنيف للنظم الحضرية ٢٥
الشكل ٣. مقارنة بين النهجين الشمولي والاختزالي ٣٩
الشكل ٤. أصحاب المصالح في المناطق الحضرية ٤١

قائمة الجداول

الجدول ١. النظام الاقتصادي والمعيشي ٢٦
الجدول ٢. نظام السياسات والحوكمة ٢٨
الجدول ٣. النظام الاجتماعي والثقافي الحضري ٢٩
الجدول ٤. نظام البنية التحتية والخدمات ٣٠
الجدول ٥. نظام المساحات والمستوطنات الحضرية ٣١

الشكر والتقدير

أولاً وقبل كل شيء، نوجه الشكر لمن أُجريت معهم المقابلات لإعداد هذه الورقة، أو الذين قدموا تعليقات أو اقترحوا وثائق أو سهلوا التقديمات لأشخاص آخرين. وعلى وجه الخصوص، نوجه الشكر لـ أندرو مو و سام صليبا من "لجنة الإنقاذ الدولية" (IRC)، وسيني بيرجبي وسوزان ماغواير من "برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية" في لبنان (UN Habitat Lebanon)، الذين فتحوا المجال للعمل المتواصل حول هذه القضايا، مما عزز بشكل كبير من عمق هذا البحث وجودته. كما نرغب في توجيه الشكر العميق إلى هاري جونز وأزرا هابر جلين اللذين كانت تعليقاتهما خلال صياغة الورقة ذات قيمة مذهلة. داخل الأمانة العامة ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP Secretariat)، قدَّم بول نوكس كلارك الكثير من التوجيه الذي يحظى بتقديرنا البالغ في جميع مراحل العملية، وقد نفذ أليكس جلين التصميم والمظهر العام بشكل خبير، وقدمت فرانشيسكا شوارتز الدعم المطلق لنا. كما نتوجه بالشكر إلى شون كوك الذي قدم المساعدة في البحث خلال المراحل النهائية من إعداد الورقة. ونتوجه بالامتنان البالغ إلى "وكالة التنمية الدولية التابعة للولايات المتحدة" (USAID) على تمويل هذا العمل كجزء من مساهمات عضويتها في "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء". كما نمثّن بشكل خاص للتشارلز سيتشل لإيمانه بأهمية هذه القضية ومناصرة مناهج المستوطنات والتفكير النظمي داخل القطاع الإنساني في المناطق الحضرية، ذلك قبل فترة طويلة من التفكير في هذا البحث. وأخيرًا، نتوجه بالشكر الجزيل لكامل لعضوية "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" و"شبكة الممارسين المعنية بالاستجابة في المناطق الحضرية"، اللتين وفرت مشاركتهم المستمرة في قضايا الاستجابة في المناطق الحضرية بيئة مناسبة لهذا البحث ليؤتي ثماره.

الملخص التنفيذي

إن العالم الذي نعيش فيه يزداد تمدناً؛ حيث يعيش ٪54 من سكان العالم الآن في بيئة حضرية (UN Habitat, 2016). وبعد أن تم تطوير القطاع الإنساني للاستجابة للأزمات في المناطق الريفية ومخيمات اللاجئين، فإن هذا القطاع غير مجهز في الوقت الحاضر للتعامل مع وقائع السياقات الحضرية. وعلى الرغم من قيام المنظمات بتكييف مناهجها وتطوير الأدوات والبرامج التجريبية، فما زال هناك ثغرات أساسية. **يدرك العاملون في المجال الإنساني على نحو متزايد النظم وأصحاب المصالح الموجودين في المناطق الحضرية، على الرغم من عدم وجود فهم مشترك واضح لما هي "النظم الحضرية"، أو ما الذي يحتاج العاملون في المجال الإنساني حقًا إلى معرفته.**

تتميز المناطق الحضرية بتنوع الأشكال والأحجام. لا يوجد تعريف واحد محدد للمناطق الحضرية، ولكنها بصفة عامة تحتوي على كثافة سكانية عالية وتركيز من الهياكل الإدارية والخدمات والبنى التحتية، وتعتمد على اقتصاد قائم على النقد، وفيها مناطق معمورة كبيرة ومجموعة متنوعة من فرص كسب العيش، كما تعاني من ضغوط اجتماعية معقدة وفيها بعض الحدود الإدارية المحددة. وترتبط المناطق الحضرية بطبيعتها ببعضها البعض، وبالبيئات الريفية. وتفرض كثافة المناطق الحضرية وتنوعها وديناميكاتها تحديات على من يسعون إلى فهمها أو إلى العمل داخلها.

ويعد فهم السياقات الحضرية مهمًا للعاملين في المجال الإنساني، ذلك لضمان أن الاستجابة غير منفصلة عن الواقع أو أنها لن تؤدي إلى آثار سلبية أو إلى تفاقم التوترات. كما يعني الفهم عدم التغاضي عن معلومات حيوية أو تجاهل الجهات الفاعلة المحلية. وإن أخذ مسافة ما لإلقاء نظرة شاملة بهدف فهم البيئات الحضرية هي خطوة أولى مهمة، قد تؤدي إلى تغييرات عملية في السياسات والممارسة. كما أن التحليل السياقي الجيد عامل مهم في كل الاستجابات الإنسانية. ومع ذلك، ففي الوقت الحاضر يساء فهم السياقات الحضرية على وجه الخصوص، وهناك حاجة ماسَّة للتحسين.

يشكل استخدام التفكير النظمي أحد طرق تحسين فهم تعقيد السياقات الحضرية . يركز النهج النظمي على الروابط والترابط والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء المختلفة لأي نظام. ويشمل النظام الحضري الاقتصاد وسبل العيش والسياسة والحوكمةوالمجتمع والثقافة والبنية التحتية والخدمات، وأخيرا المساحات والمستوطنات. وتتميز كل هذه الجوانب في السياق الحضري بأنها مترابطة وديناميكية ومتغيرة.

النظر في السياقات الحضرية من خلال وسائل النهج النظمي:

١. إدراك أن المدن عبارة عن نظم؛

٢. التأقلم مع عدم اليقين ومع التعقيد؛

٣. قبول الطبيعة المتغيرة للنظم الحضرية والمرونة التي تتميز بها؛

٤. فهم السياقات الحضرية على مختلف المستويات؛

٥. أخذ النظام الحضري ككل في الاعتبار، وليس فقط كأجزاء منفصلة؛

٦. إدراك التسلسل الهرمي والعلاقات؛

٧. التركيز على المساحات الحضرية دون استبعاد الصورة الأوسع

إن فهم النظم الحضرية يتطلب منَّا أيضًا أن ننظر إلى مختلف أصحاب المصالح في البيئة الحضرية، بما في ذلك أدوارهم ومسؤولياتهم، قدراتهم ونقاط ضعفهم، قوتهم ونفوذهم ، مصالحهم وتصوراتهم، والعلاقات بين مختلف الجهات الفاعلة.

على الرغم من العديد من المبادرات الواعدة، يفشل القطاع الإنساني حالياً في فهم البيئة الحضرية. فنحن مقيدون بحواجز فردية ومؤسسية، وكذلك بالطبيعة الصعبة للمشكلة نفسها.

تعكس هذه الورقة طبيعة السياقات الحضرية، وكيف يمكن تصورها كنظم. وبذلك، فهي تدعو إلى أهمية فهم السياقات الحضرية وتقدم نهجًا قد تستخدمه المنظمات لفهم البيئات الحضرية.

١. مقدمة

على مدى السنوات القليلة الماضية، شهد في القطاع الإنساني تحولاً يختمر ببطء . وقبل العقد الماضي، تمت الاستجابة الإنسانية في السياقات الريفية في المقام الأول. وقبل العقد الماضي، تمت الاستجابة الإنسانية في السياقات الريفية في المقام الأول. وقد كان ذلك يعني الأدوات والتوجيهات المُطوَّرة ومعظم الخبرات والدروس المستفادة، كانتى على علاقة بالسياقات الريفية (Crawford and Killing, 2012). وفي الآونة الأخيرة، وقع عدد من الأزمات الكبيرة في المناطق الحضرية، بما في ذلك زلازل في هايتي ونيبال، والعنف في المناطق الحضرية في هندوراس وكولومبيا، وتفشي الإيبولا في مدن غرب افريقيا، والنزوح المستمر في المدن في مختلف أنحاء الشرق الأوسط وأوروبا نتيجة للصراع في سوريا. وقد أبرزت هذه الأزمات واستجابتنا لها فشل القطاع الإنساني في فهم الأوضاع الحضرية، وبخاصة وجود عدم "ارتباط بالسياق" (Zicherman et al., 2011: 9) فضلاً عن عدم إدراك "ما هو موجود بالفعل". وبشكل متكرر، تصر كلتا المقابلتين كما المؤلفات (بما في ذلك Grünewald et al., 2011; Patrick, 2011; Zicherman et al., 2011; Crawford and Killing, 2012; Kupp, 2012; Dodman et al., 2013; Brown et al., 2015; Earle, 2016) على أن العاملين في المجال الإنساني "يعانون" للتعامل مع تعقيدات المناطق الحضرية و "لا يفهمونها بشكل كامل".

في الأشهر التي سبقت "مؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني" (WHS) الأول الذي عقد في مايو 2016, اجتمع عدد من خبراء المناطق الحضرية (يُدعى الآن "التحالف العالمي للأزمات الحضرية" (GAUC)) بهدف ضمان إدراج القضايا التي تدور حول الاستجابة الحضرية والتهجير على جدول أعمال" مؤتمر القمة العالمي للعمل الإنساني". وكانت إحدى توصيات "التحالف العالمي للأزمات الحضرية" هو "أن يعمل العاملون في المجال الإنساني مع النظم التي تشكل المدن": المشاركة مع الجهات الفاعلة المحلية، وفهم السياقات الحضرية، والاستثمار في البنية التحتية والحوكمة والأسواق الحضرية والمجتمع في المناطق الحضرية (GAUC, 2016: 1). هذه التوصيات تشبه عدة توصيات أخرى قُدمت في السنوات الأربع الماضية، حيث أدرك القطاع الإنساني بشكل متزايد الحاجة إلى تكييف السياسات والممارسات لمنع الأزمات في المناطق الحضرية والاستجابة لها والتعافي منها. وعلى وجه الخصوص، فقد أشارت الأبحاث في الآونة الأخيرة إلى ما يلي:

- الحاجة إلى "**التفكير** بشكل مختلف" بخصوص العمل في الأزمات في المناطق الحضرية (Currion, 2015: 5)، ومراجعة "**المفاهيم** و**التصورات** التي تقوم بتشكيل فهم الجهات الفاعلة في المجال الإنساني للمجتمع الحضري" (Fan, 2012: 568) و"تبني **لغة** المدينة وقواعدها" (Sanderson, 2016: 13).

- الاهتمام المتزايد باستكشاف **المناهج القائمة على المنطقة** الخاصة بالأزمات في المناطق الحضرية، حيث يركز العاملون في المجال الإنساني تدخلاتهم على "الديناميات الاجتماعية والاقتصادية الناشئة، وهياكل السلطة" التي تحدث في منطقة جغرافية معينة (Impact Initiatives and UCLG, 2016a: 3, انظر أيضًا Parker and Maynard, 2015). وفي الوقت نفسه، أشارت الأبحاث أيضًا إلى قيود الاعتماد فقط على التحليل المكاني (Sokpoh and Carpenter, 2014).

- الرغبة المتزايدة في المشاركة مع **السلطات المحلية** (Brown et al., 2015; Impact Initiatives and UCLG, 2016g) **والمجتمعات المضيفة** الحضرية ودعمها وبناء قدراتها (Ciacci, 2014).

- أن الحوكمة والخدمات الأساسية في المناطق الحضرية **مترابطة**، وهناك عدم فهم لكيف يمكن للمساعدات الإنسانية أن تستجيب في سياق ديناميات البنية التحتية والديناميات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعقدة (Jones et al., 2014b; Brown et al., 2015b; Sokpoh and Carpenter, 2014).

- إمكانية أن يتعلم العاملون في المجال الإنساني من **التخطيط والتصميم الحضري** وتركيز هذين الأخيرين على البيئة المبنية (Kayden, 2016)، وأن يتعلموا مواءمة الاستجابة مع التخطيط الحضري والتنمية الحضرية على المدى الطويل (Impact Initiatives and UCLG, 2016g).

- هناك عدد متزايد من المنظمات التي تقوم حاليًا بتطوير أو تكييف **أدوات جديدة** لتحقيق فهم أفضل للسياق الحضري (بما في ذلك "لجنة الإنقاذ الدولية" (IRC)، و"برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية" (موئل الأمم المتحدة)، و"منظمة إنقاذ الطفولة" (Save the children)، و"مبادرات إمباكت" (Impact Initiatives)، و"الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر" (RCRC)، و"الدائرة المشتركة بين الوكالات المعنية بتحديد سمات المشردين داخلياً (Joint IDP Profiling Service).

- "فشل واسع" للقطاع الإنساني حتى الآن في فهم الأزمات في المناطق الحضرية "في **نطاقات تحليل مختلفة**"، بما في ذلك عدم "فهم كيف تعمل المساحات الحضرية ك**نظم معقدة**" (Brown et al., 2015b: 9).

ويمثل كل ذلك تحولاً ملحوظًا في كيفية تصور العاملين في المجال الإنساني للأزمات في المناطق الحضرية وفي كيفية استجابتهم لها. وفي الوقت نفسه، اتخذ عدد من المنظمات خطوات لتكييف نهج استجابتها مع السياقات الحضرية. ومع ذلك، وسط دعوات إلى

"العمل من خلال" السلطات المحلية لمعالجة كيفية تأثير أي أزمة على البنية التحتية والأسواق، وإلى القيام باستجابة مصحوبة بـ "فهم المكان"، ما زال معنى فهم النظم الحضرية الحالية والعمل بشكل فعال معها غير واضح من الناحية العملية. هناك عدد متزايد من الجهات الفاعلة التي تعمل الآن على بحوث وبرامج تجريبية ومبادرات جديدة في هذه المجالات، ويستخدم العديد منها مصطلحات مثل "النظم الحضرية" على الرغم من عدم وجود تعريفات أو مصطلحات أو تفاهم مشترك حول هذا المصطلح. وبينما يجري بالفعل تطوير عدد من الأدوات، فمن غير الواضح ما يحتاجه العاملون في المجال الإنساني لتحويل تفكيرهم ليتلاءم مع الطرق التي تعمل بها المدن بالفعل. وكما أوضح واحد ممن أجريت معهم المقابلة، "*يوجد الآن فهم مشترك أن على النهج أن يكون مختلفًا... ولكن لا يوجد حتى الآن فهم واضح لكيفية القيام بذلك.*"

وللمساعدة في سد هذه الفجوة المتعلقة بالفهم، فإن هناك مبادرة بحثية جديدة تابعة ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" تستكشف كيف يمكن للعاملين في المجال الإنساني فهم السياقات الحضرية بشكل أفضل. كما تستكشف المبادرة المفاهيم والمصطلحات الخاصة بـ "النظم الحضرية"، وكذلك كيف يمكن للعاملين في المجال الإنساني تضمين هذه المفاهيم في ممارستهم بالطريقة الأكثر فعالية.

تعد هذه الورقة الناتج الأول لهذا البحث. يلخص القسم ٢ المنهجية وقاعدة الأدلة. يستكشف القسم ٣ السياق الحضري: ما الذي نقصده بمصطلح "حضري"؟ كيف تكون السياقات الحضرية كثيفة ومتنوعة وديناميكية؟ لماذا يعد فهم السياقات الحضرية مهمًا؟ يقدم القسم ٤ نهجًا نظميًا للمدن ونظام تصنيف للنظم الحضرية. ينظر القسم ٥ في كيف ينبغي لنا أن نمارس فهم السياقات الحضرية من خلال عدسة النظم الحضرية، وما الحواجز الموجودة حالياً التي تحول دون القيام بذلك. يستكشف القسم ٦ الحواجز التي تحول دون فهمنا، ويختتم القسم ٧ بالخطوات المقبلة لهذه المبادرة البحثية.

٢. المنهجية وقاعدة الأدلة

تستند الورقة بشكل أساسي إلى استعراض المؤلفات والمقابلات التي أجراها المؤلف. وقد حدَّد استعراض المؤلفات أكثر من 650 وثيقة من بوابة الاستجابة الحضرية التابعة ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" وخدمة "جوجل" البحثية Google Scholar، وقد تم تحديدها من خلال البحث عن كلمات رئيسية. [١] ومن بين هذه الوثائق، اختار المؤلف أيضًا 10 وثائق رئيسية لإجراء بحث مرجعي تراكمي على مستويين؛ وقد أوصى من أُجريت معهم المقابلات بوثائق أخرى أيضاً. وتظهر جميع الوثائق التي جرى استعراضها لإصدار هذه الورقة، والتي تزيد عن 200 وثيقة، بشكل كامل في الفهرس.

أجرى المؤلف أيضًا 59 مقابلة مع العاملين في المجال الإنساني والقائمين بالتخطيط الحضري والأكاديميين والجغرافيين، والذين تم اختيارهم لتمثيل مجموعة متنوعة من وجهات النظر التنظيمية والمهنية والجغرافية. وقد تم تسجيل المقابلات ونسخها، أو قام المؤلف بأخذ الملاحظات. وتَردُ قائمة كاملة بمن أُجريت معهم المقابلات في الملحق 2. استعرض المؤلف أيضًا الملاحظات من 11 مقابلة أجراها زملاؤه في "لجنة الإنقاذ الدولية" (IRC) لصياغة وتطوير أداة لتحليل السياق الحضري، كما استعرض أكثر من 60 استبيانًا قام بملئهم المشاركون في ورشتي عمل تجريبيتين نظمتهما "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء"، "التفاعل" (Interaction) و"الصليب الأحمر الأميريكي"، في واشنطن العاصمة (يونيو 2015) ولندن (نوفمبر 2015). وفي ورشة العمل الأخيرة، طُلب من المشاركين التفكير في مناهجهم الشخصية والتنظيمية وفهمهم لأصحاب المصالح في المناطق الحضرية. وبالإضافة إلى ذلك، إستفاد البحث من معلومات حصل عليها المؤلف عبر حضوره عدد من ورش العمل والمؤتمرات، بما في ذلك ورش العمل والمؤتمرات التي عقدت من قبل جامعة هارفارد و"مركز التنمية والممارسة في حالات الطوارئ" (CENDEP) (بوسطن، 2014)، و"التحالف العالمي للأزمات الحضرية" (برشلونة 2015 و 2016، ولندن 2016)، و"مبادرات إمباكت" (Impact)/ "منظمة المدن والحكومات المحلية المتحدة" (UCLG) (جنيف، 2016), و"اللجنة الدولية للصليب الأحمر" (ICRC) و"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (لندن، 2015)، و"برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية" (موئل الأمم المتحدة) (بيروت، 2016)، و"الصليب الأحمر" الدنماركي والأميريكي (كوبنهاغن، 2016).

٣. السياقات الحضرية

يستكشف هذا القسم طبيعة السياقات الحضرية، بما في ذلك تعريف السياقات الحضرية، وأسباب صعوبة فهمها، وأسباب أهمية فهمها.

> "لا يوجد تعريف ثابت فيما يتعلق بمعنى مصطلح "حضري"."

٣,١ ماذا يعني مصطلح "حضري"؟

إن تعريف مصطلح "حضري" ليس بالأمر بسيطًا. لا يوجد تعريف ثابت بين البلدان أو الأكاديميين فيما يتعلق بمعنى مصطلح "حضري". في دراسة تبحث في الحكومات في 228 بلدًا، وُجد أن 25 منهم لم يكن لديهم على الإطلاق تعريف للسياقات الحضرية، بينما عرَّف ستة منهم البلد بأكمله بأنه حضري (McCarney, 2006).

تأتي السياقات الحضرية في مجموعة متنوعة من الأشكال والأحجام. وتعني كثافة المناطق الحضرية العالية وحدودها سهلة الاختراق وميلها للتغير أن من الأفضل والأكثر فائدة التفكير فيها كمناطق ممتدة ذات حدود غير واضحة، بدلاً من وجود تعريف محدد. ويعني هذا عدم وجود نقطة فاصلة محددة بين ما هو "ريفي" وما هو "حضري" (Satterthwaire and Tacoli, 2002; Ramalingam and Knox Clarke, 2012). ويعتمد اعتبار أن إحدى المناطق "حضرية" أو غير ذلك على مجموعة من العوامل السياقية. بصفة عامة، تشمل السياقات الحضرية تلك السياقات التي تشتمل على كل المعايير التالية أو معظمها، على الرغم من أن بعض المدن تقع خارج هذه الأنماط (مقتبس من McGranahan et al., 2005; World Vision, 2013; ICRC, 2015; IDMC, 2015):

- الكثافة السكانية العالية؛
- تركُّز هياكل الإدارة مثل الحكومة والمستشفيات؛
- وجود الخدمات الأساسية والبنية التحتية (الشوارع المعبدة، وشبكات المياه والنفايات، والكهرباء... إلى آخره)؛
- الاقتصاد القائم على النقد؛
- نسبة أعلى من المساحة المبنية؛
- سبل العيش وفرص الدخل المتنوعة (وليس الزراعة فقط/في الغالب)؛
- الضغوط الاجتماعية المترابطة والمعقدة؛
- الحدود الإدارية/البلدية المحددة.

الشكل ١. ماذا يعني مصطلح حضري؟

هكذا، فمن المهم أيضًا عدم افتراض أن الجميع لديه نفس الفهم لمعنى السياقات الحضرية. وصف أحد من أُجريت معهم المقابلات العمل في جمهورية أفريقيا الوسطى، حيث لم يفهم الزملاء المحليون سوى العاصمة كمنطقة حضرية. وبالمثل، يجب علينا النظر في افتراضاتنا الخاصة حول ما يُعتبر منطقة حضرية. كما وضح غاريت (2005: 2)، فإن التسميات "حضري" و "ريفي" لا ترقى إلى أن تكون انعكاسًا لدينامية وتنوع الواقع. فمع

استحضار رؤى المدن المزدحمة والمناطق الريفية المعزولة، فهي تشير إلى عوالم وسبل معيشة منفصلة. وهي تحجب تداخل المناطق الحضرية والريفية وتشابكهما بعدة طرق، فضلاً عن تنوع استراتيجيات سبل العيش داخل المناطق الحضرية أو الريفية.

إن مصطلحي "حضري" و "ريفي" ليسا مستقلان عن بعضهما البعض؛ فهما يرتبطان بعمق على مستويات متعددة. فقد يعمل الأفراد في منطقة حضرية بينما يعيشون في منطقة الريفية، أو يتحركون ذهابًا وإيابًا بين البيئات الحضرية والريفية على مدار اليوم أو العام (Kyazze et al., 2012). ويتم جلب المنتجات والسلع والمال من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية والعكس في تدفق مستمر (Harroff-Tavel, 2010). وبالتالي فإن المدن لا تعمل أو تتطور في عزلة، وهي تتفاعل باستمرار مع السياقات الحضرية والريفية الأخرى (Bretagnolle et al., 2009). كما قد تكون المناطق الحضرية مختلفة جدًا عن بعضها البعض. فمن الصعب مقارنة المدن الكبرى مثل دكا ومكسيكو سيتي وكولكاتا بالضواحي التي تحيط بلندن ونيويورك، أو بالمدن الصغيرة إلى متوسطة الحجم مثل ديلي ومالمو.

> "بدلاً من وجود تعريف محدد، من الأفضل والأكثر فائدة التفكير في المناطق الحضرية كمناطق ممتدة ذات حدود غير واضحة."

٣,٢ ما هي أسباب صعوبة فهم السياقات الحضرية؟

إن السياقات الحضرية ليست فقط صعبة للتعريف، بل هي صعبة الفهم أيضًا. وللمساعدة في تحليل طبيعة السياقات الحضرية وشرحها، طرح راماليجام ونوكس كلارك (2012) مفاهيم "الكثافة" و"التنوع" و "الديناميات". يستكشف هذا القسم هذه الجوانب، مع التركيز بشكل خاص على الكيفية التي تجعل بها فهم السياقات الحضرية معقدًا.

الكثافة

تحتوي البيئات الحضرية على كثافة عالية من السكان والمباني والبنى التحتية وخيارات سبل العيش وأصحاب المصالح (American Red Cross, 2014). وتؤثر الأزمات على أعداد كبيرة من الناس، الذين يتركزون في منطقة كثيفة، والذين قد يكونون محاطين بكميات هائلة من الحطام. وهناك أيضًا العديد من الجهات الفاعلة التي تشترك في الاستجابة - بما في ذلك المنظمات الدولية والوطنية، والشركات الخاصة، والحكومات على مستويات متعددة، والجماعات المسلحة، والأفراد (Besiou et al., 2011).

ويذهب البعض إلى أن الكثافة تعد ميزة للاستجابة الإنسانية، حيث أن عملاً واحدًا قد يؤدي لآثار إيجابية على عدد كبير من الناس في منطقة واحدة، إلى جانب إمكانية البناء على الخدمات القائمة والعمل مع أصحاب المصالح المحليين الذين لديهم معرفة عميقة بالسياق (Harroff-Tavel, 2010). ومع ذلك، فإن الكثافة تفرض أيضًا تحديات. على سبيل المثال، فإن إصلاح مجاري في منطقة حضرية ينطوي على مجموعة من الجهات الفاعلة أوسع من تلك التي يُحتمل أن يلتقيها العاملون في المجال الإنساني في البيئات غير الحضرية، حيث تركز المساعدات على الانخراط على أساس الأسرة تلو الأسرة

(Killing and Boano, 2016). وقد تؤدي الكثافة أيضًا إلى تسريع انتشار المرض والشائعات والمعلومات الخاطئة.

كما قد تمثل لعلاقات بين هذه الجهات الفاعلة تحديًا. وأوضح أحد من أُجريت معهم المقابلة، "*إن العمل في المناطق الحضرية، حيث هناك المزيد من أصحاب المصالح والمزيد من التنافس على الموارد وعلى وقت الناس وعلى أي شيء آخر، غالبًا ما يخيف الناس.*" وقد طرح عدد كبير من أصحاب المصالح المشتركين في الأزمات الحضرية الأخيرة تحديات كبيرة بخصوص التنسيق والمشاركة - وانعكاسات ما بعد الأزمة التي تشير إلى أن العاملين في المجال الإنساني لم يتعاملوا بشكل جيد مع هذه الكثافة من الجهات الفاعلة (Barcelo et al., 2011).

وحتى في حالة عدم الاستجابة للأزمات، يعمل أصحاب المصالح في المناطق الحضرية في كثير من الأحيان على نطاقات متعددة، من الفرد أو الأسرة إلى الحي وإلى المدينة والمستويات الإقليمية. وقد يكون لمختلف الجهات الفاعلة مسؤوليات متوازية أو متداخلة، والتي قد لا يكون تحديدها سهلاً دائمًا (Dodman et al., 2013; Mountfield, 2016). فعند حدوث أزمة، قد تصل مزيد من الجهات الفاعلة بسرعة ومن ثم يكون فك شفرة كثافة الجهات الفاعلة أمراً أكثر صعوبة (Leis, 2016).

تحتوي المناطق الحضرية أيضًا على كثافة من البنية التحتية، والتي تتضمن المباني والطرق والخدمات. ويؤدي ذلك إلى مخاطر حضرية فريدة تتعلق بكمية المواد المادية التي قد تتأثر خلال أنواع معينة من الأزمات، وقد يؤدي إلى تعقيد الوصول إلى بعض المناطق (Currion, 2015). كما أن ذلك يضاعف عدد الجهات الفاعلة المشتركة؛ وعلى سبيل المثال شركات البناء والمَركبات (Harroff-Tavel, 2010).

وتتعلق الكثافة الحضرية أيضًا باستخدام الحيز المادي. ففي أي شارع - وأحيانًا في نفس المبنى - قد تجد مجموعة من الأنشطة السكنية و/أو التجارية و/أو الصناعية. قد يتغير استخدام الحيز المكاني على مدار اليوم، مما يجعل فهم كيفية استخدام هذا الحيز أمراً صعبًا (Currion, 2015). وتمثل الخدمات الحضرية التي يعتمد عليها سكان المدن، بما في ذلك المرافق الصحية ونظم الكهرباء والنفايات والمياه، تضاعف من الكثافة (ICRC, 2015).

التنوع

تتميز الجهات الفاعلة والبنية التحتية في أي مكان حضري أيضًا بأنها متنوعة للغاية. كما وضح غرونيفالد وكاربنتر (2014: 33)، "في كثير من الأحيان، تكون المساحة الحضرية غير متجانسة بشكل كبير. ففي كثير من الأحيان، تكون المناطق الغنية والفقيرة والأحياء القديمة والجديدة، ومراكز الكثافة السكانية العالية والأطراف المحيطة بالمدن، والمناطق الإدارية والمناطق الصناعية متجاورة جنبًا إلى جنب". كما أن الأفراد الذين يشكلون سكان

المدن هم أنفسهم متنوعون، حيث أنهم قادمون من مجموعة واسعة من الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية واللغوية والدينية.

يجد سكان المناطق الحضرية أنفسهم جزءًا من مجموعة متنوعة من "المجتمعات"، ومعظمها ليس مرتبطًا من الناحية الجغرافية. وغالبًا ما يعيش سكان الحضر في مكان ("الحي") ولكنهم يقضون عددًا قليلاً جدًا من ساعات النهار هناك (Kupp, 2016). إن الافتراضات بأن أي حي محدد مكانيًا يساوي مجتمعًا، كما هو الحال في المناطق الريفية، ليست قابلة للتطبيق في المناطق الحضرية، مع العديد من المجتمعات التي تعمل على مستويات وعبر مساحات مختلفة (ibid.). Kyazze et al. (2012: 34) نلاحظ أنه في المناطق الحضرية، "قد يكون هناك مئات، بل آلاف، من المجتمعات المتعايشة والمتداخلة والمتفاعلة والمتنافسة على النفوذ والموارد ... طبقات متعددة من النظم وهياكل السلطة تؤثر بشكل كبير على الحياة اليومية للأفراد". ومع ذلك ما زالت مصطلحات "المجتمع" و"الحي" تستخدم بالتبادل في كثير من الأحيان، مما يشير للحاجة إلى مشاركة أعمق لاستكشاف المعنى الحقيقي للمجتمعات غير المكانية.

حدد حمدي (٢٠٠٤) خمسة أنواع من المجتمعات الحضرية، والتي أضاف كوب (٢٠١٦) نوعاً سادساً إليها:

١. مجتمعات المكان: الاتصال المكاني المشترك؛
٢. مجتمعات ذوي الاهتمامات المشتركة: تشكلت حول قضية/اهتمام مشترك؛
٣. مجتمعات المقاومة: تجربة مشتركة في الأزمة/النزوح؛
٤. مجتمعات الثقافة: اللغة، المعتقدات والقيم المشتركة؛
٥. مجتمعات الممارسة المهنية: سبل العيش المشتركة؛
٦. المجتمعات الافتراضية/الرقمية: متصلة من خلال وسائل الإعلام الجديدة.

كما تتنوع المناطق الحضرية نتيجة عدم وجود نوع واحد من السياق الحضري. كما ناقشنا في المقدمة، فإن مصطلح "حضري" ينطبق على مجموعة واسعة من المساحات المختلفة. "إن بعض المدن صغيرة نسبيًا ومصنوعة من الطوب الطيني، فيما البعض الآخر مدنٌ كبرى يعيش فيها ملايين الأشخاص في مبانٍ متعددة الطوابق وناطحات سحاب، وفي أحياء فقيرة ومناطق تعاني من الفقر المدقع" (Grünewald et al., 2011: 7). وهي تختلف في اقتصاداتها وأسواقها وفي نفوذها السياسي - وهو اختلاف يؤثر على الطريقة التي تعمل وتتصل بها مع بعضها البعض (Grant, 2010). وقد وصف أحد من أجريت معهم المقابلات الاختلافات بين البيئة الكثيفة في مدينة بهوج بالهند ومدينة باندا آتشيه بإندونيسيا، والتي تكون المستوطنات في أحيائها أشبه بمساحة ريفية. وقد تكون المدن في نفس البلد مختلفة تمامًا، وهي ببساطة "لن تعكس ديناميات البلد الذي تقع فيه" (Chapman,

2015: 23). وقد يكون هناك أيضًا تنوع كبير داخل المدينة واحدة، على سبيل المثال بين وسط المدينة وأطرافها (Grant, 2010)، ومع تطور المدينة على مرّ الزمن. وأخيرًا، تحتوي المناطق الحضرية على الهياكل والمستوطنات والاقتصادات والمجتمعات والبنى التحتية الرسمية وغير الرسمية على حدٍ سواء. . وكلا الجانبين الرسمي وغير الرسمي في المدينة مهم، ويجب عدم الاستهانة به.

الديناميات

لا تعد المدن كيانات مستقرة. فهي ديناميكية ومتغيرة باستمرار (من حيث النمو السكاني، والصناعة والتجارة، والحيز المادي، والبنية التحتية، والمباني) (Sanderson, 2016)، ويحدث ذلك في كثير من الأحيان بطرق غير متوقعة. كما أن التغيرات يمكن أن تحدث على مدى فترات قصيرة جدًا قد تصل إلى يوم واحد. والبيئات الحضرية مترابطة بشكل أساسي مع بعضها البعض ومع غيرها من الأماكن. ويعني هذا أنه قد يكون من الصعب دراسة عنصر واحد من أي مدينة (على سبيل المثال نظام توزيع المياه، أو الحي أو الهيكل الإداري) دون معرفة روابطه وتبعياته، ويكون فهم الحدود شبه مستحيل. إن التغلب على التحديات في المناطق الحضرية يتطلب فك الترابط بين الجهات الفاعلة والنظم المختلفة (Jones et al., 2014b). وفي سياق هذه الديناميات، قد يكون من الصعب التوصل إلى نظرية التغيير والتنبؤ بنتيجة أي عمل معين.

قد تكون المدن معرضة أيضاً لتبعات حوادث بعيدة عنها (الفيضانات والأوبئة، وما إلى ذلك)، والتي تتطلب حلولاً تأخذ بعين الإعتبار داخل وخارج السياق الحضري على حدٍ سواء (American Red Cross, 2014). وفي الوقت نفسه، كما سبق ورأينا، تشترك المناطق الريفية والحضرية في السكان والأسواق والاقتصادات، مما يجعل من الصعب التفريق بين الأماكن غير المقسَّمة بخطوط واضحة (Dodman et al, 2013; Kupp, 2012). ومع تسارع العولمة وتعميقها للصلات بين الأماكن في جميع أنحاء العالم، لم تعد المناطق الحضرية مرتبطة فقط بالمناطق الريفية المحيطة بها، بل أيضًا بالأماكن الحضرية والريفية في جميع أنحاء العالم (McGranahan et al., 2005). وهذه العلاقات ليست ثابتة بل تمثل عمليات ديناميكية (World Vision, 2013).

ويمكن وصف التغيير المستمر في المدن بأنه "تدمير الخلاق" (Page, 1999). تتعرض البيئات الحضرية باستمرار إلى الفوضى والاضطراب؛ واللذين ينتجان عن الأزمات والمخطِطِين والتنمية والنمو. وفي حين أن هذا يفرض تحديات، فهو أيضًا يوفر فرصًا؛ وخاصة لأن السياقات الحضرية مقاومة للغاية على الرغم من ضعفها (Vale and Campanella, 2005).

٣,٣ لماذا ينبغي علينا أن نفهم السياقات الحضرية، وماذا يحدث عندما لا نفهمها؟

عندما لا نفهم المناطق الحضرية، ينتهي بنا الأمر إلى استجابة منفصلة عن السياق. وبذلك نخاطر بإحداث تأثير سلبي أو مفاقمة التوترات القائمة. قد نتسبب في تقويض الجهات الفاعلة المحلية وخططها وتفويت فرص البناء على القدرات الموجودة، مما قد يعني تفويت معلومات حيوية. وفي النهاية، يؤدي ذلك إلى عدم قيامنا بدعم المتضررين من الأزمة بشكل فعال.

يتكون كل سياق من خصائص فريدة من نوعها هي التي تشكله؛ وتتمثل هذه الخصائص في المساحة، والهياكل، والناس، والقضايا التي خلقت هذا السياق (Mathur, 2007). فعندما يتم فصل أي عمل عن السياق الذي يحدث فيه، فإنه لا يتم تكييفه مع خصوصيات الحالة المعنية والظروف التي تحيط بها (Lyytinen, 2009). فما هو مناسب لبلدٍ ما ليس مناسبًا لآخر؛ وينطبق الأمر نفسه عند الإنتقال من مدينة إلى أخرى أو من حي إلى آخر. وقد واجهت الاستجابات الإنسانية الحضرية السابقة انتقادات لكونها منفصلة عن السياق - كما لو أن السياق كان "في مكان آخر" - وعن قرارات وضع البرامج (Impact Initiatives & UCLG, 2016g; Ginsberg, 2015; Kyazze, Baizan & Carpenter, 2012; Patrick, 2011; Zicherman et al, 2011). وفي حين أنه من المهم أن نكون واضحين بشأن أيٍّ من جوانب السياق هي مهمة وقت حدوث الإستجابة، يجب عدم استخدام "الحاجة الملحة للمساعدات الإنسانية" كذريعة للفهم غير الكافي للسياق (Ciacci, 2014: 24). حيث لن نتمكن من الاستجابة بطريقة مناسبة للسياق إذا لم نتخذ خطوات لنفهم بالضبط ما هو هذا السياق. حيث لن نتمكن من الاستجابة بطريقة مناسبة للسياق إذا لم نتخذ خطوات لنفهم بالضبط ما هو هذا السياق. في حين أن هذه القضية لا تقتصر على المناطق الحضرية (انظر القسم ٣,٤)، فإن الكثافة والتنوع وديناميات البيئة الحضرية الهائلة تجعل من فهم السياق أمراً أكثر أهمية.

> إننا لن نتمكن من الاستجابة بطريقة مناسبة للسياق إذا لم نتخذ خطوات لنفهم ما هو هذا السياق.

من أجل "عدم إلحاق الأذى" بأي بيئة حضرية، نحتاج أولاً إلى أن نحدد بالضبط ما هي الجوانب التي نحتاج إلى فهمها (Wallace, 2015). إن كمية الجهات الفاعلة التي تلعب دورًا في أي بيئة حضرية تعني أن ثمة خطر كبير لإحداث تأثير سلبي. وقد أشار أحد من أُجريت معهم المقابلات قائلاً: "*في المناطق الحضرية ... هناك مساحة أقل لارتكاب الأخطاء لأنك ستفاقم المشاكل القائمة في المدينة أو تسبب مشاكل أخرى جديدة دون حتى أن تقصد ذلك*". وأحد المخاطر هو مفاقمة التوترات القائمة. ركزت الاستجابات الإنسانية الماضية، على سبيل المثال، على دعم النازحين وتجاهل غير النازحين، الأمر الذي قد يزيد من الإقصاء (Fan, 2012). وقد يؤدي التركيز على الجهات الفاعلة الوطنية في المدن الكبيرة إلى "االتعتيم" على احتياجات السلطات المحلية (Barcelo et al., 2011). لقد وُجد أن المساعدة الإنسانية قد أجَّجت التوترات الحالية والصراع في مختلف الاستجابات الحضرية الأخيرة، من خلال "عدم فهم الحساسيات والديناميات المحلية"

(Impact Initiatives and UCLG, 2016g: 9). وغالبًا ما يكون العاملون في المجال الإنساني على بيِّنة من هذه المخاطر: لقد أشار أحد الاستطلاعات إلى أن 85% من العاملين في المجال الإنساني قد "شاركوا في أو شاهدوا أعمال طوارئ تسببت عن غير قصد في إحداث صراع أو زيادة الصراعات القائمة سوءًا"، وقد كان "فهم السياق" واحدًا من أكبر التحديات التي تواجه العاملين في المجال الإنساني في بداية أي استجابة (Zicherman et al., 2011: 6).

وفي الوقت نفسه، فإن المدن لا تعمل تلقائيًا. فهناك أدوار ومسؤوليات محددة تضمن توفير الطاقة والمياه وفتح المستشفيات وتشغيل الحافلات. في مساحة معينة، يمكن إدارة هذه الوظائف من قبل الحكومة المحلية أو الشركات الخاصة أو المجتمع المدني أو الجماعات المحلية. وفي كثير من الأحيان، يتجاهل العاملون في المجال الإنساني دور السلطات المحلية والهياكل المجتمعية، وينشؤون آليات موازية ويهمشون أصحاب المصالح الموجودين بشكل فعال. ونتيجة للقيام بذلك، فإنهم يخاطرون بالتأثير سلبًا على الشرعية والمصداقية والفعالية (Lyytinen and Kullenberg, 2013; Allex-Billaud, 2015; Impact Initiatives and UCLG, 2016b). إن التركيز قصير المدى الخاص ببرامج المعونة الإنسانية لا يأخذ في الاعتبار عمليات تخطيط المدن القائمة وطويلة المدى (DFID, 2014; Allex-Billaud, 2015; Impact Initiatives and UCLG, 2016g).

وتعد هذه فرصة ضائعة للاستفادة من ثروة من القدرات في المناطق الحضرية القائمة. ففي حين أن الجهات الفاعلة المحلية ربما تكون قد فقدت القدرة بسبب تأثير الأزمة، أو ربما كانت هناك ثغرات في القدرات الموجودة من قبل (Harroff-Tavel, 2010)، فليس من الممكن معرفة ما هي الأمور المتواجدة دون محاولة فهم السياق. وللأسف، فإن الاستجابات الإنسانية في المناطق الحضرية غالبًا ما تفشل "في دعم قدرات الاستجابة المحلية أو دفعها" (Impact Initiatives and UCLG, 2016g: 8; انظر أيضًا Barcelo et al., 2011)، وهكذا يظهر خطر تهميش الجهات الفاعلة المحلية واستراتيجيات التأقلم القائمة الخاصة بها (Patrick, 2011). وقد يكون هذا بسبب عدم معرفتها بالجهات الفاعلة التي يجب عليها التعامل معها أو كيفية العمل مع بعض الجهات الفاعلة، مثل القطاع الخاص (DFID, 2014)، أو بسبب الخوف من الانخراط في الأوضاع السياسية الشائكة (Impact Initiatives and UCLG, 2016a).

وتمتلك الجهات الفاعلة المحلية فهمًا للسياق والديناميات يغيب في كثير من الأحيان عن الجهات الفاعلة الدولية (Impact Initiatives and UCLG, 2016g; WRC, 2015; Clermont et al, 2011; Davies, nd). إننا عندما نفشل في التواصل بشكل فعال مع أصحاب المصالح في المناطق الحضرية، فإننا نعرِّض للخطر كمية ونوعية المعلومات المتاحة لنا، مما قد يؤدي إلى وجود ثغرات في استجابتنا أو إلى تكرار الإستجابات ذاتها (Impact Initiatives and UCLG, 2016e).

ويتمثل التأثير التراكمي لعدم فهم السياقات الحضرية في عدم دعم المتضررين من الأزمات بشكل فعال (Impact Initiatives and UCLG, 2016e). وقد يحدث هذا لأننا لسنا على علم بالمشاكل الأكبر التي تؤثر على النظام برمته أو غير مستعدين للتصدي لها (DFID, 2014) لأننا نسيء فهم الاحتياجات، أو لأن نماذج مساعداتنا ليست مرنة بما فيه الكفاية للتكيف مع السياقات الحضرية (Fan, 2012; Meral, 2015). ففي بعض الحالات، نفترض أشياء عن السياق الحضري تجعلنا لا نلحظ مواطن الضعف (Crawford, 2011; Pantuliano et al., 2011). وفي حالات أخرى، نركز على بعض الأفراد الضعفاء ونفوّت فرص دعم تعافي النظم والخدمات الحضرية (Meral, 2015).

لتلخيص ما سبق بكلمات أحد من أُجريت معهم المقابلات، بإمكاننا القول أنه عندما لا نتخذ خطوات لفهم السياقات الحضرية، بما في ذلك إدراك القدرات الموجودة والبناء عليها، يصبح لدينا "*حلولاً مُعدَّة سلفاً، غير متخصصة و غير متكاملة تفشل في تحقيق أقصى قدر من الفرص، أو تسبب ما هو أسوأ؛ أي تتآمر بفعالية لجعل الأمور أسوأ*". إذا أردنا حقًا الاستجابة بفعالية للأزمات في المناطق الحضرية، فإننا بحاجة إلى اتخاذ خطوات فعالة لفهم الترابط بين البيئات الحضرية، بما في ذلك النظم وأصحاب المصالح الذين يعرِّفونها.

٣,٤ هل السياقات الحضرية فريدة من نوعها أم أننا لا نحتاج إلا إلى إجراء تحليل جيد للسياق؟

في حين أن هناك سمات معينة للسياقات الحضرية تؤكد على طبيعتها المعقّدة، فإن المناطق الحضرية ليست فريدة من نوعها بمعنى أنها السياقات الوحيدة التي يجب أن نحاول فهمها. فالفهم الجيد للسياق أمر مهم للاستجابة الإنسانية أينما نعمل. كما يجب علينا فهم النظم وأصحاب المصالح في المناطق الريفية والمخيمات أيضاً.

ومع ذلك، فقد استغرقت منظومة العمل الإنساني وقتًا أطول بكثير لاختبار نهجها في المناطق الريفية، ونجحت في تطوير وتطويع عدد من الأدوات لمساعدتنا في فهم هذه السياقات. وبشكل ما، يمكننا أن نتعلم من هذه المناهج واستخدامها في فهمنا للسياق الحضري؛ وبالمثل، فقد تكون المناهج الجديدة المُطوَّرة مع وضع السياق الحضري في الاعتبار، وخصوصًا فيما يتعلق برسم الخرائط واستخدام التكنولوجيا، مفيدة في زيادة فهمنا للبيئات غير الحضرية.

لماذا إذًا تركز هذه الورقة على السياقات الحضرية وليس على مجرد الفهم الجيد للسياق؟ ربما يمكن وصف السبب بأنه يتعلق بالدعوة. في الوقت الراهن، لا يعد فهمنا للسياقات الحضرية جيدًا بما فيه الكفاية؛ ونحن بحاجة إلى اتخاذ إجراءات حيال ذلك. بالتركيز على البيئات الحضرية، تسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على عمق التحديات التي ينطوي عليها فهم البيئات الحضرية، كما تسلط الضوء على الحاجة لإجراء تحول في النهج. وفي

حين أن بعض الخصائص التي تلخصها الورقة قد تكون ذات صلة أيضًا بالسياقات غير الحضرية، وأن التحليل السياقي الجيد مهمًا في كل مكان، فقد وضح أحد من أُجريت معهم المقابلات ذلك على أفضل نحو عندما قال: "*ببساطة، عندما تقول أنه ليس عليك سوى إجراء تحليل سياقي، فأعتقد أن ذلك يتجاهل بشكل كبير أن السياقات المختلفة يصعب إلى حد كبير فهمها وتتطلب المشاركة العميقة والمعرفة والخبرة*". *وأشار شخص آخر ممن أجريت معهم المقابلات بأن الأمر يتعلق بدرجة صعوبة المشاكل: "هذه العوامل ... أكثر بروزاً وقابلية للتطبيق، وبالتالي يجب أن تؤخذ [في] الاعتبار في المساحات الحضرية. أعتقد أن بالإمكان تجاهلها إلى حدٍ ما أو قد تكون الوكالات جاهلة بها [عند] العمل في مكان ريفي، ولكن إذا كنت جاهلاً بها وتجاهلتها في [أي] مكان حضري، [فإنه من المحتمل] عندها أن تكون مستويات فشل المشاريع أكثر ارتفاعاً*، ويمكن حتى القول بأن العواقب ستكون أسوأ.

٤. النهج النظمي لمقاربة المدن

ركز الجزء الأول من هذه الورقة على طبيعة السياقات الحضرية، بما في ذلك مجموعة التحديات التي تفرضها الطبقات والنطاقات والروابط المختلفة الموجودة داخل المناطق الحضرية. يقدم هذا القسم نهجًا نظميًا لمقاربة المدن ونظام تصنيف بإمكاننا استخدامه للنظم الحضرية. ثم تستكشف الأقسام الأخيرة من الورقة الآثار العملية للنهج النظمي لمقاربة المدن، وكذلك كيفية فهم أصحاب المصالح في المناطق الحضرية.

٤,١ ما هو النهج النظمي، وما هي آثاره؟

النهج النظمي[٢] أو التفكير النظمي، هو النهج الذي يتعرف على النظم ويركز عليها. ويمكن تعريف النظم بشكل غير دقيق جداً على أنها عدد من العناصر المرتبطة ببعضها بطرق معينة لتحقيق شيء ما، ويحدها هيكل ما يحدد شكلها (Laurini, 2001; Meadows, 2008; Ricigliano and Chigas, 2011; Wilson, 2014).

هناك قصة ترِدُ في كثير من الثقافات عن ستة رجال أكِّفاء يواجهون فيلاً لأول مرة. يقترب كل منهم من الفيل ويلمسه، في محاولة لفهم ما قد يمكن أن يكون هذا المخلوق. وفي وقت لاحق، يجلسون معًا لمناقشة التجربة. فأحدهم، بعد أن يشعر فقط بساق الفيل، يقارنه بعمود. بينما يقارنه آخر، بعد أن لمس الذيل فقط، بفرشاة الكنس. بينما يشعر شخص ثالث بالجذع فقط، وهكذا. ثم بدأوا المناقشة، وكل منهم متأكد من أنه يعرف جيدًا ما شعر به بنفسه. والدرس المستفاد هنا هو أنه ليس من الممكن معرفة أي شيء ككل عن طريق دراسة بعض أجزائه فقط.[٣]

لماذا النظم؟

على مدار هذا البحث، واجهنا عددًا من الانتقادات للمناهج النظمية. يفضل البعض التفكير في "الشبكات"، مع التأكيد على الطبيعة غير الدائمة لبعض الروابط. وهناك آخرون قلقون بشأن تحويل نظرية النظم إلى شيء مفيد من الناحية العملية. نحن نستخدم مصطلح "النظم" لأن معظم الأدلة التي تم تحديدها تتسق جيدًا مع هذا النهج، ولأنه عندما تحلل النظم إلى مفاهيمها الأساسية، وعندما يكون ما تعنيه واضحاً، فإن "النظم" تبدو عندها مرجعية مناسبة حتى للهياكل غير الدائمة. نحن نحاول معالجة إنتقادات التطبيق العملي من خلال التركيز على خصوصيات النظم الحضرية. نحن نحاول معالجة الانتقادات العملية من خلال التركيز على خصوصيات النظم الحضرية.

على حد تعبير Bowman et al. (2015) ، لن يقدم التفكير النظمي حلاً سحريًا لكل مشكلة محتملة: ففي الكثير من الأحيان، تكون أنسب الحلول هي الحلول البسيطة. ومع ذلك، ففي البيئات الصعبة مثل الأزمات الحضرية، يمكن أن يؤدي استخدام التفكير النظمي إلى زيادة حجم وعمق الفهم، وبالتالي التأثير.

وبالتالي يركز النهج النظمي على الروابط والترابط والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء المختلفة في أي نظام، وليس فقط على العناصر المختلفة نفسها (Meadows, 2008; Ricigliano and Chigas, 2011). يعود التفكير النظمي الى أرسطو، ويذهب هذا التفكير إلى أن النظر إلى أي شيء ككل (مثل فيل أو مدينة) "يقدم رؤى جديدة ومختلفة عن تلك التي يمكن الحصول عليها من خلال النظر إلى الأجزاء المكوِّنة له بشكل فردي" (ibid: 2).

ومع ذلك، فإن التركيز على العناصر التي تساهم في النظم يكون أسهل كثيرًا من دراسة ترابطها (Meadows, 2008). ويرجع ذلك لأن العناصر تكون في الغالب مادية وبالتالي ملموسة (مثل المباني)؛ على الرغم من أن بعضها قد يكون غير ملموس (مثل السلطة أو النفوذ) (ibid.).

وقد أدى العدد الكبير للسكان وأصحاب المصالح والنظم والشبكات المترابطة (Heykoop and Kelling, 2014) في السياقات الحضرية إلى أن يصف البعضُ المدنَ بأنها "نظم معقدة" (Sanders, 2008; Batty, 2009; ICRC, 2015; Liu, 2016). النظم المعقدة هي نظم متشابكة تتألف من عدة أجزاء تتفاعل مع بعضها البعض ومع العالم الأوسع بوسائل لا يمكن تحديدها أبداً بشكل كامل ودقيق (Shaw and Howell, 2016).

> يدرك النهج النظمي إمكانية التوصل إلى رؤى جديدة ومختلفة عن تلك التي يمكن الحصول عليها من خلال النظر في كل جزء مكوِّن على حدة.

وتتميز العناصر التي تشكل النظم والروابط بينها بأنها ديناميكية ومتغيرة. تتميز النظم بالمرونة؛ حيث يمكنها أن تتحرك وتتكيف عند الضغط عليها أو شدّها ومحاولة تمديدها (Meadows, 2008). ليس هناك أي شخص مسؤول عن النظم (Levine, 2015)؛ فالنظم بالأحرى تتعلم وتتعقد وتنشأ من خلال التنظيم الذاتي. إن النظم هي السبب في سلوكها الخاص (Meadows, 2008) وليس هناك بالضرورة جهة فاعلة واحدة توجه الغرض من النظم. و قد يؤدي هذا التنظيم الذاتي إلى نشوء التسلسل الهرمي، والذي يقلل من كمية المعلومات التي يجب أن يتتبعها أي جزء من النظام مع حفاظه على الترابط (.ibid). في بعض الأحيان، قد تؤدي العناصر والسياق إلى أن تسلك النظم سلوكًا لم يسعَ إليه أحد (.ibid)، مثل الصراع أو الأزمة. وفي الوقت نفسه، يمكن لأصحاب المصالح المختلفة تجربة نظام بطرق مختلفة (Reed et al., 2013).

وأخيرًا، يدرك النهج النظمي أننا بحاجة لمراقبة أي نظام لفهم سلوكه قبل أن نتدخل فيه. ويرجع ذلك إلى عدم التعبير عن وظيفة النظام بشكل واضح في كثير من الأحيان، مما يستغرق وقتًا لتحديدها (Meadows, 2008). عند دراسة النظم، فأنت بحاجة إلى "إبعاد عينيك عن الأحداث التي تحدث على المدى القصير وتحديد السلوك والهيكل على المدى الطويل... فمن المحتمل أن تسيء التصرف مع النظم أو تسيء تصميمها أو قراءتها إن لم تحترم خصائصها المتمثلة في المرونة والتنظيم الذاتي والتسلسل الهرمي" (ibid: 87).

٤,٢ المخزون والتدفقات وحلقات التغذية المرتدة

في أبسط المستويات، يمكن تقسيم أي نظام إلى ثلاثة عناصر (Meadows, 2008):

١. المخزون: شيء يمكنك ان تراه أو تشعر به أو تعده أو تقيسه في أي وقت من الأوقات.

٢. التدفقات: شيء يدخل أو يخرج.

٣. حلقات التغذية المرتدة: آليات التحكم التي تؤدي إما إلى استقرار المخزون أو تضخيمه عن طريق زيادة/خفض التدفق.

يستخدم ميدوز (2008) مثالاً هو حوض مملوء بالماء (المخزون)، مع صب المياه فيه أو تصريفها منه (التدفق). حلقة التغذية المرتدة التي تؤدي إلى الاستقرار هي المصفاة، والتي تمنع حوض الاستحمام من الفيضان. في السياق الحضري، يمكننا أن نعتبر أن عدد المساكن/المآوي المتاح في الحي أو المدينة هو "المخزون" المتوفر، مع تسمية عدد الأشخاص الذين يدخلون ويخرجون باسم "التدفق". وهنا يمثل معدل المواليد حلقة تضخيم من الأطفال الجدد الذين سيقيمون في المنازل، بينما يؤدي معدل الوفيات إلى استقرار النظام بجعل المنازل متاحة لغيرهم من المقيمين. قد تشتمل النظم على أي قدر من المخزون والتدفقات، وقد تحتوي على حلقات التغذية المرتدة المؤدية إلى الاستقرار أو التضخيم على حدٍ سواء (.ibid).

كما نوقش في وقت سابق، تم توجيه الانتقاد للقطاع الإنساني لميله إلى صنع افتراضات حول أداء السياقات الحضرية. ويمكن التغلب على ذلك بمراعاة السلوك الفعلي للمخزون والتدفقات وحلقات التغذية المرتدة في أي نظام حضري. وذلك لأن التفكير في هذه الجوانب من النظم "يحميك من السقوط بسرعة كبيرة في معتقداتك أو مفاهيمك الخاطئة، أو معتقدات ومفاهيم الآخرين" (Meadows, 2008: 171).

٤,٣ نظام تصنيف للنظم الحضرية

في حين أن كل سياق حضري فريد من نوعه، فمن المساعد التفكير بالسياقات الحضرية بطريقة قد تكون مفيدة من الناحية العملية وسهلة للفهم (da Silva et al., 2012). ولحسن الحظ، تتشارك معظم المناطق الحضرية في سمات متشابهة عندما يتعلق الأمر بالاقتصاد والسياسة والجوانب الاجتماعية والبنية التحتية والمساحات المادية (Meikle, 2002).

من أجل توفير إطار شامل للنظم الحضرية ونظمها الفرعية، أعد هذا البحث مصفوفة[٤] لتحديد المواضيع المشتركة داخل مجموعة متنوعة من الأطر الموجودة الخاصة بالنظم الحضرية أو الشبكات أو المكونات. وبناء على هذا الاستعراض، نقترح نظام تصنيف لخمسة نظم حضرية:

الشكل ٢. نظام تصنيف للنظم الحضرية

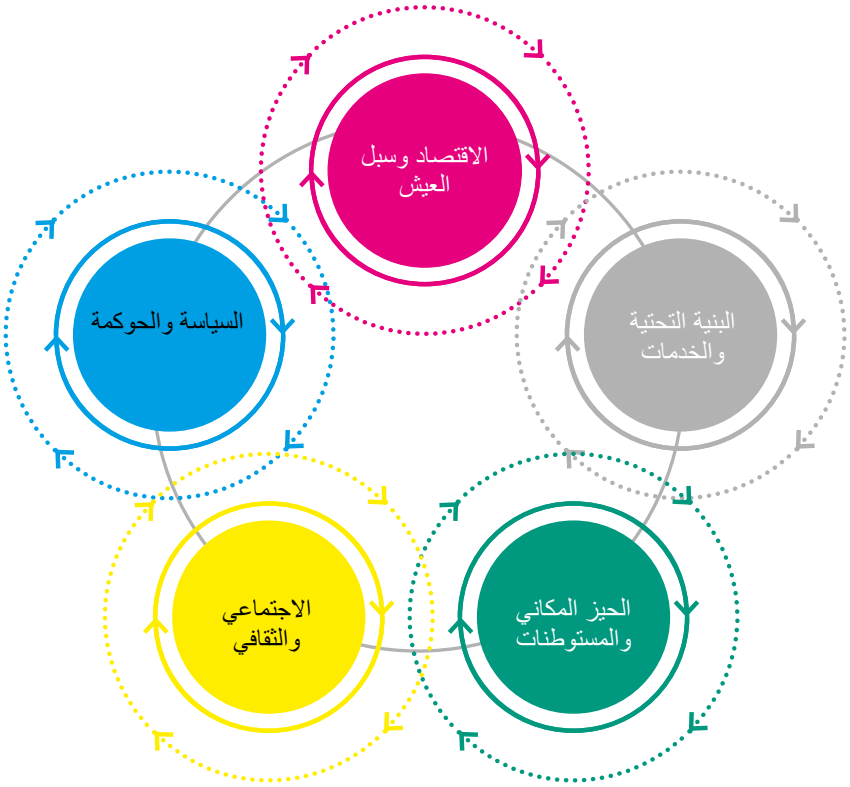

مجتمعة معًا، تؤدي النظم الحضرية عددًا من الوظائف، بما في ذلك "الموائل والإنتاج والخدمات والسيطرة السياسية" (Bretagnolle et al., 2009). وبشكل منفرد، يتكون كل نظام حضري من المخزون والتدفقات وحلقات التغذية المرتدة. كما تتأثر النظم الحضرية بالهياكل والمفاهيم. وتناقش الأقسام التالية كل نظام من هذه النظم بمزيد من التفصيل.

الاقتصاد الحضري وسبل العيش

تصور النظم الاقتصادية والمعيشية في المناطق الحضرية الإنتاج والاستهلاك ورصيد الموارد في منطقة ما. تقوم الاقتصادات الحضرية على النقد في المقام الأول (Currion, 2015)، ويعتمد السكان عادةً على العمل بأجر أكثر من اعتمادهم على الإنتاج الزراعي. تتمركز الاقتصادات القائمة على النقد حول الأسواق (ibid.)، مما يعني ارتباط سكان المناطق الحضرية بها بدرجة عالية، حيث يعتمدون على الأسواق للحصول على المواد الغذائية والإمدادات الأساسية، وللتجول حول المدينة، وللحصول على الخدمات الصحية وخدمات التعليم وفرص العمل المربح (Creti, 2010; Friedman, 2016) – وبعبارة أخرى فإن الأسواق "يحركها الاستهلاك" (Sitko, 2016b). وفي كثير من الأحيان، يتم تقديم الخدمات الحضرية مثل المياه والطاقة وجمع النفايات مقابل مال في المناطق الحضرية (Brown et al., 2015b). وتعرَّف الأسواق بأنها أي مكان يتم فيه تبادل السلع أو الخدمات أو العمل بين المشترين والبائعين (Friedman, 2016). وهي ليست بالضرورة حيزًا ماديًا - فيمكننا أن نفكر في سوق الإسكان، وسوق العمل، إلى آخره. ولهذه الأسباب، يمكن اعتبار الأسواق الحضرية والقطاع الخاص "شريان حياة" أي مدينة (Sanderson, 2016).

يقدم الجدول ١ مجموعة من الأمثلة عن الهياكل المادية والمفاهيم والعمليات التي توجد داخل النظام الاقتصادي والمعيشي في المناطق الحضرية، فضلاً عن الوظائف التي تؤديها والأحداث الرئيسية التي تشكلها.

الجدول ١. النظام الاقتصادي والمعيشي

الهياكل المادية	العمليات الهيكلية	المفاهيم المؤثرة	المهام	الأحداث
الأسواق/المحلات التجارية المصانع المخازن	المعايير التجارية اتفاقيات الائتمان قوانين االتوظيف	المرونة تمايز السوق	إنتاج السلع توليد الدخل المعيشي تسهيل التجارة	أيام السوق أحداث على علاقة بهجرة العمل الحصاد

المصادر: US Marine Corps (2014); Brown et al. (2015b); Sitko (2016b)، وغيرها.

هناك طريقة أخرى للتفكير في كلٍ من النظم الفرعية، تتمثل في اعتبارها كمخزون، وتدفقات، وحلقات تغذية مرتدة. على سبيل المثال، المخزون في الاقتصاد الحضري يشمل الأسواق، والمحلات التجارية، ومعدل العمالة. يتدفق المال والسلع والأشخاص، وتعمل حلقات التغذية المرتدة، مثل الإنتاج، والاستهلاك، والائتمان على استقرار تلك التدفقات أو تعزيزها.

ينقسم الاقتصاد الحضري إلى قسمين؛ رسمي وغير رسمي، وهما يرتبطان معًا بشكل معقد. قد تؤدي أي أزمة إلى الضغط على العلاقات، مما قد يصل إلى التسبب في انهيار اقتصادي (Sitko, 2016b). ولذلك فمن المهم للعاملين في المجال الإنساني فهم النظم الاقتصادية والعمل خلالها (Sanderson and Knox Clarke, 2012). يمتلك الاقتصاد الحضري أيضًا القدرة على الاستفادة من الاتصال المكاني بعدد كبير من السكان مما يمكن أن يخلق إقتصادات ضخمة وإمدادات ثابتة من العمل والخدمات والتمويل (Brown and Lloyd-Jones, 2002). وفي الوقت نفسه، فإن المنتجات المستوردة على المستوى الوطني يمكنها أن تؤثر على المستوى المحلي، وقد تؤثر القوى الاقتصادية العالمية على أسواق المدينة وحتى على التجار الأفراد (Sitko, 2016b). وبهذه الطريقة، فإن الأسواق الحضرية تعتمد على الاتجاهات العالمية، والأسعار، وتوفر المواد الخام والتمويل، إلى آخره (Creti, 2010). ومرة أخرى، فإن كل سياق حضري فريد من نوعه؛ مما يعزز أهمية فهم الاقتصاد وسبل العيش في مدينة معينة.

السياسات والحوكمة الحضرية

في الأساس، تدور السياسات والحوكمة الحضرية حول صنع القرار والسلطة (Meerow et al., 2016; Sitko, 2016b)؛ مما قد يكون السبب في وصفها من قِبَل البعض بأنها "العمليات والهياكل التي تشكل المؤسسات التي يتم من خلالها استبعاد الناس من المدن وتضمينهم فيها" (Gupte, 2016: 3).

تتميز السياسات والحوكمة الحضرية بأنها ديناميكية ومتغيرة (UN Habitat, 2001). وغالبًا ما يكون هناك التباس حول الأدوار والمسؤوليات (Pantuliano et al., 2011)، وخاصة حول الجهات الفاعلة غير الرسمية مقابل الجهات الفاعلة الرسمية (Devas, 2002). ويجعل هذا اتخاذ خطوات للفهم الفعلي للمدينة أمرًا أكثر أهمية، بدلاً من الاعتماد على افتراضات.

ويقدم الجدول ٢ بعض الأمثلة على الجوانب المادية والعمليات الهيكلية والمفاهيم المؤثرة التي قد تكون موجودة في السياسات والحوكمة الحضرية، وكذلك الأحداث الرئيسية والمهام التي تؤديها.

الجدول ٢. نظام السياسات والحوكمة

الهياكل المادية	العمليات الهيكلية	المفاهيم المؤثرة	المهام	الأحداث
المباني الحكومية (المحاكم، قاعات البلديات، القواعد العسكرية) قاعات الاجتماعات ومباني المجتمع الأهلي	القوانين والسياسات الحدود /المجالات السياسية للتأثير	المسؤولية السلطة الشرعية	الأمن الإدارة العامة الإدارة القضائية/ القانونية	الانتخابات المسيرات/ التظاهرات النزاع/الحرب

المصادر: CARE (2014); US Marine Corps (2014); Meerow et al. (2016); Osofisan (2016b)، وغيرها.

لفهم السياسات والحوكمة الحضرية، يجب علينا النظر في نوعيتها وطبيعتها الأساسية. ونحن بحاجة إلى التساؤل عن العلاقات، والبحث تحت السطح، وفهم التأثير. على سبيل المثال، يمكن أن يكون لأصحاب المصالح الوطنيين تأثيرات كبيرة على المدينة، سواء كانت إيجابيًا أو سلبيًا. "إن فهم هياكل الحوكمة وصنع القرار في المنظمات التي تعمل في هذه النطاقات هو عنصر مهم في المشروع" (Carter, 2009: 6). حدد موسر ورودجرز (2012) عددًا من السياسات وعلاقات الحوكمة المترابطة في دراستهما التي أجريانها على حالات الصراع في المناطق الحضرية، بما في ذلك بين الحكومات الوطنية والحكومات على مستوى المدينة، وبين الشرطة والجريمة المنظمة، وبين السلطات التقليدية وحكومة الولاية.

يتجاهل العاملون في المجال الإنساني قضايا الحوكمة أحيانًا، وذلك بسبب المخاوف من الفساد والتسييس (Grünewald, 2013). ومع ذلك، فإن ذلك يؤدي لتجاهل التأثير المحتمل الذي قد نُحدثه على السياسة والحوكمة في أزمة حضرية ما (Brown et al., 2015b). يحلل بوشر وفلاسنروت (2010) التأثير الذي أحدثته الجهات الإنسانية الفاعلة في السياسة والحوكمة في غوما، ووجدوا أن "عمليات صنع القرار في المناطق الحضرية قد أصبحت تدريجيًا مسؤولية الوكالات الإنسانية الدولية"، ذلك لأن الحكومة الكونغولية كانت غير قادرة على تقديم الخدمات الأساسية لمجموعة متنوعة من الأسباب (Brown et al., 2015b: 35).

النظم الاجتماعية والثقافية الحضرية

تصف النظم الاجتماعية والثقافية الحضرية معتقدات السكان وسلوكياتهم في المناطق الحضرية. إن تركز عدد كبير من الأشخاص المتنوعين في منطقة حضرية يصنع نظامًا اجتماعيًا وثقافيًا حضريًا عالميًا، والذي يتم تنظيمه مكانياً، كما فصله مكانيًا إلى حدٍ ما أيضاً.

يشارك الناس في مجموعة من "المجتمعات" والشبكات الاجتماعية المختلفة، وكلها تتشكل من خلال البيئة المادية التي يوجدون فيها (Grant, 2010).

وتشتمل المدن على مجموعة متنوعة من الأعراق والثقافات واللغات والأديان، وهي غالبًا ما تجد أنفسها على مقربة من بعضها البعض (World Vision, 2013). ويتحرك سكانها بانتظام داخل وخارج البيئة الحضرية. إن هذه الروابط المادية الموجودة داخل جميع المناطق الجغرافية هي ما يشكل الجوانب الثقافية والاجتماعية للمدن. وبالمثل، فإن الجوانب الثقافية والاجتماعية بما في ذلك درجة التماسك الاجتماعي هي ما يشكل الوظائف السياسية والبيئية والاقتصادية للمدينة.

يسرد الجدول ٣ بعض الهياكل المادية والعمليات والمفاهيم الهيكلية التي تؤثر على النظم الاجتماعية والثقافية الحضرية، وكذلك بعض الوظائف التي تؤديها والأحداث الهامة.

الجدول ٣. النظام الاجتماعي والثقافي الحضري

الهياكل المادية	العمليات الهيكلية	المفاهيم المؤثرة	المهام	الأحداث
الأماكن العامة (الحدائق، المعالم الأثرية، الأسواق) المواقع الدينية والثقافية المدارس والمكتبات	الاتجاهات الديموغرافية الثقافات الأغلبية/ الأقلية	التقاليد الاتصالات	الحفاظ على التقاليد الاحتفالات التماسك الاجتماعي	التجمعات المجتمعية الأحداث الرياضية الشعائر الدينية

المصادر: CARE (2014); US Marine Corps (2014); Meerow et al. (2016)، وغيرها.

إن الأفراد الذين يعيشون ويعملون في المدن يختبرون بيئتهم في سياق العلاقات الاجتماعية التي يكونونها. ويوضح جرانت قائلاً: (2010: 6) "على سبيل المثال، إن تأمين العديد من الخدمات الأساسية يتم بالضرورة في داخل حيّز العلاقات الاجتماعية ومن خلالها (مثل الطبيب والمريض، المعلم والطالب). وينطبق الشيء نفسه على كيفية دمج الناس في المجالات الاقتصادية والسياسية وغيرها من المجالات الاجتماعية والثقافية".

البنية التحتية والخدمات الحضرية

يمكن فهم البنية التحتية والخدمات الحضرية بأنها "توفير سلع أو أعمال أو مواد أخرى ذات قيمة لسكان الحضر" (ICRC, 2015: 18). وهي تشمل المياه، والصرف الصحي، وإدارة النفايات، والنقل، والطاقة، والصحة، وخدمات الطوارئ، والتعليم، والسلامة العامة،

ونظم الرعاية الاجتماعية (UN Habitat, 2015d). وهي "ترتبط ببعضها ارتباطًا قويًا وتعتمد على بعضها البعض بطرق معقدة... وبعبارة أخرى، فإن ما يحدث لنظم بنية تحتية حضرية واحدة يمكن أن يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على غيرها من البنى التحتية" (Yazdani et al., 2014: 50). وعند النظر في البنية التحتية والخدمات الحضرية، فإن من المفيد أن نفهم توفرها، وسهولة الوصول إليها، والقدرة على تحمل تكاليفها، وملاءمتها (UN Habitat, 2015d). ونظرًا لترابط البنية التحتية والخدمات الحضرية، فمن المهم أيضًا النظر في الوظائف ومجالات المسؤولية ذات الصلة، وكذلك التنسيق (Yazdani et al., 2014).

ويضم الجدول ٤ بعض الأمثلة على الهياكل والعمليات والمفاهيم التي تشكل البنية التحتية والخدمات الحضرية، فضلاً عن المهام التي تؤديها والأحداث الرئيسية التي تؤثر عليها.

الجدول ٤. نظام البنية التحتية والخدمات

الهياكل المادية	العمليات الهيكلية	المفاهيم المؤثرة	المهام	الأحداث
الجسور، محطات الحافلات، الطرق مواقع معالجة النفايات خطوط الكهرباء، محطات الطاقة	القيمة السوقية القوانين والمعايير	حقوق الوصول تصورات الجودة	توفير الخدمات الأساسية السلامة والنظافة العامة	الإضرابات الأوبئة انهيار البنية التحتية

المصادر: US Marine Corps (2014); Brown et al. (2015b)، وغيرها.

المساحات والمستوطنات الحضرية

المساحات والمستوطنات الحضرية هي مجموعة متنوعة من البيئات الطبيعية (بما في ذلك المساحات الخضراء، والجيولوجيا، والمياه، إلى آخره) والمادية (الشوارع والمباني والأماكن العامة) والمستوطنات البشرية التي تشكل أي سياق حضري (Butina Watson, 2016). المساحات والمستوطنات الحضرية مختلفة بطبيعتها عن السياقات الزراعية الريفية على المستوى المادي، ويرجع هذا أيضًا لأن البيئات الحضرية تشكِّل الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعيش الحضري (Currion, 2015). في بعض الأحيان، لا يتم إيلاء اهتمام كافٍ بالبيئة المادية. ويمكن النظر إلى المجتمع باعتباره القوة المهيمنة على حيز مادي تابع (Wamsler, 2004)، على الرغم من أن الحيز قد يكون مؤثرًا جدًا.

يتضمن الجدول ٥ الهياكل المادية والعمليات والأحداث التي تمثل جزءًا من المساحات والمستوطنات الحضرية، وكذلك الأحداث الرئيسية التي تؤثر عليها والوظائف التي تؤديها.

الجدول ٥. نظام المساحات والمستوطنات الحضرية

الهياكل المادية	العمليات الهيكلية	المفاهيم المؤثرة	المهام	الأحداث
المنازل، المباني، الملاجئ الحدائق، المساحات المفتوحة	القوانين اتفاقيات حيازة الأراضي	المجتمع/ الحي الطابع غير الرسمي/الطابع الرسمي للحيز المكاني	السكن/المأوى التماسك الاجتماعي	النزوح عمليات التخطيط البناء

المصادر: Wamsler (2004); Grünewald (2011); Meaux and Osofisan (2016); American Red Cross (nd); Myanmar RCS (ndb)، وغيرها.

قد تكون الأرض جانبًا صعب الفهم من المساحات والمستوطنات الحضرية. وفي كثير من الأحيان، تكون هناك ترتيبات معقدة للملكية/الحق في الأرض، والتي تتأثر بالعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وتعد كيفية استخدام الأرض، ومن يقوم باستخدامها، وتحت أي ظروف، جانبًا مهمًا في فهم المساحات والمستوطنات الحضرية، وقد أثبت هذا الجانب كونه تحديًا كبيرًا في السياقات الإنسانية. وبتعبير أحد من أُجريت معهم المقابلات، فإن بإمكانه أن يؤدي إلى *"شلل"* الاستجابة.

كما يمتلك الضعف والفقر في المناطق الحضرية أيضا أبعادًا مكانية: هناك مستوطنات (أي الأحياء الفقيرة والمستوطنات غير الرسمية) وغيرها من الميزات الجغرافية (الموقع على طول طرق النقل، والقرب من/إمكانية الوصول إلى الخدمات، إلى آخره) التي تلعب جميعها دورًا. وفي الواقع،

> "بالمقارنة بسكان المدن، فإن الأشخاص الذين يعيشون في مستوطنات غير رسمية، خاصة في الأحياء الفقيرة، يعانون بشكل أكبر من الاستبعاد المكاني والاجتماعي والاقتصادي من الفوائد والفرص الخاصة بالبيئة الحضرية الأوسع. وهم يعانون من التمييز المستمر والحرمان الشديد الذي يظهر في التهميش الجغرافي، والعجز في الخدمات الأساسية، وأطر الحكم الضعيفة، ومحدودية فرص الحصول على الأراضي والممتلكات، وسبل العيش المحفوفة بالمخاطر، وبسبب موقع المستوطنات غير الرسمية، فإنها قابلة بشكل كبير للتضرر من الآثار السلبية للبيئات الفقيرة المعرضة ولتغير المناخ وللكوارث الطبيعية" (UN Habitat, 2015b: 2).

ويحدّ الطابع غير الرسمي لهذه المستوطنات من قدرتها على معالجة نقاط الضعف الكامنة التي تواجهها (Earle, 2016).

وأخيرًا، يكون للمساحة الحضرية تأثيرات معينة في سياقات الأزمات. وكما أشار أحد من أُجريت معهم المقابلات، قد تفرض الكثافة المادية تحديات كبيرة فيما يتعلق بالأشخاص النازحين. فإذا تم تدمير المأوى الخاص بك، ليس من المرجح عندها أن تكون قادرًا على العيش مؤقتًا بجانب منزلك بينما يتم إعادة بناؤه، ذلك على عكس الوضع في أي منطقة ريفية. وبالمثل، ففي حالة انهيار هيكل واسع، مثل مبنى سكني، فإن إعادة إنشاء هذا المأوى قد يستغرق بعض الوقت، ولا يمكن ماديًا استيعاب جميع ساكنيه السابقين على تلك القطعة من الأرض حتى يتم إنشاء مبنى آخر.

٥. كيف يبدو النهج النظمي الذي يُستخدم لمقاربة السياقات الحضرية؟

التفكير النظمي مناسب بشكل مثالي لتعقيد السياقات الحضرية، "ليس فقط لفهم السبب الجذري للمشاكل ولكن أيضًا من أجل فك شفرة هذه الاتصالات وتصميم الحلول التي يمكنها العمل في هذه البيئة المعقدة" (Kadihasanoglu, 2015). ولكن يظل السؤال: **ماذا يعني النهج النظمي حقًا للعاملين في المجال الإنساني؟** يستكشف هذا القسم الآثار المترتبة على النظر في المدن وأصحاب المصالح فيها على أنهم نظم.

يمكن تقسيم النهج النظمي للسياقات الحضرية إلى سبعة مبادئ:

١. الاعتراف بالمدن كنظم؛

٢. قبول عدم اليقين والتعقيد؛

٣. إدراك التغير والمرونة في النظم الحضرية؛

٤. النظر إلى السياقات الحضرية عبر نطاقات متعددة؛

٥. التركيز ليس فقط على عناصر المناطق الحضرية، بل على الكل أيضًا؛

٦. التعامل مع العلاقات والترابطات في المدن؛

٧. التركيز المكاني من دون التقيد بالجغرافيا.

٥,١ الاعتراف بالمدينة كنظام

هناك اعتراف واسع في كل من المؤلفات والمقابلات بأن المدن هي عبارة عن نظم (ويتضمن ذلك Krendel, 1970; Batty, 2008; Sanders, 2008; da Silva, et al., 2012; Dodman et al., 2013; Grünewald and Carpenter, 2014; Tyler et al., 2014; Wilson, 2014; Kadihasanoglu, 2015; Twose et al., 2015; Meerow et al., Shaw and Howell, 2016; Sitko, 2016a). وعلى الرغم من ذلك، لا يستخدم العاملون في المجال الإنساني النهج النظمي لفهم المدن. وربما يرجع هذا لعدم أداء ما يكفي من العمل لتقديم الحقائق العملية للسياقات الحضرية على أنها نظم مترابطة. وعلى الرغم من القيام بالمزيد والمزيد من الاستجابة الإنسانية في المدن، يعترف إيرل (2016) بأن هذه الاستجابة هي "تناقض جذرياً" طريقة تنظيم السياقات الحضرية وأدائها.

لذلك، ما الذي يعنيه حقًا قول أن "المدن هي نظم"؟

- السياقات الإنسانية والإنمائية ليست "ألواح فارغة" (USAID, 2014).
- الناس والمنظمات والبنية التحتية هم المكونات الرئيسية (Wilson, 2014) وهم أنفسهم نظم.
- العناصر المختلفة والنظم الفرعية للمدن مترابطة ببعضها البعض (IBRD and World Bank, 2009)، وبينما قد تظهر هذه الوابط بأنها فوضوية و "غير مُنظمة" (Sanderson, 2016: 5) فهي في الواقع مُنظمة للغاية (Sitko, 2016a).
- نحن بحاجة إلى "الخروج" من صوامعنا والعمل مع الآخرين (Bowman et al., 2015).

يعترف النهج النظمي أن المشاكل - وحلولها أيضًا - غير خطية وتحدث في سياق غير مؤكد (Tyler et al., 2014). وبالتالي فإن الاعتراف بالمدن كنظم يعني الابتعاد عن "الخطية والميكانيكية" و "النهج القائم على النتائج" (Ramalingam and Jones, 2008). ولا يعد هذا بالضرورة تحولاً مريحًا للعاملين في المجال الإنساني وقد "يمثل طريقة جديدة دراماتية للنظر إلى الأشياء - وليس مجرد النظر إلى المزيد من الأشياء في وقت واحد" (Sanders, 2008: 276). إن التركيز على النظم يتطلب منًا استكشاف طرق جديدة للتفكير (Sanders, 2008)، فضلاً عن وسائل جديدة للاستجابة للأزمات في المناطق الحضرية.

> "إن أحد أكبر التغييرات المطلوبة منّا هو الاعتراف بعدم اليقين والتعقيد واستقبالهما بأذرع مفتوحة، بدلاً من التنصل من التحديات التي يفرضانها."

٥,٢ قبول عدم اليقين والتعقيد

إن أحد أكبر التغييرات المطلوبة منّا هو الاعتراف بعدم اليقين والتعقيد واستقبالهما بأذرع مفتوحة، بدلاً من التنصل من التحديات التي يفرضانها (Tyler et al., 2014). ووفقًا لأحد من أجريت معهم المقابلات، فإن المناطق الحضرية تشمل مجموعة من العناصر التي تتفاعل باستمرار بطرق لا يمكن التنبؤ بها من خلال النظر في الأجزاء المختلفة فقط. في حين أن حلقات التغذية المرتدة توفر درجة معينة من القدرة على التنبؤ لأنها تسعى لتحقيق التوازن أو تعزيز الأنماط القائمة، فإن ترابط النظم الحضرية يمكن أن يؤدي إلى تحولات سريعة جدًا وجذرية.

والاعتراف بذلك وقبوله أمر حيوي: فألا نكون قادرين على التنبؤ شيءٌ، وأن نعتقد أن بإمكاننا التنبؤ بينما الواقع غير ذلك شيء آخر يجعل من احتمال وقوع الضرر إحتمالاً ضخماً جداً. في الوقت الحاضر، تعمل العديد من المنظمات الإنسانية على أساس أنه بإمكاننا التنبؤ بالأشياء، وهو ما يعني عدم وجود أي حافز للانتقال إلى نهج عمل أكثر

مرونة يتوقع ويترك مجالاً لعدم القدرة على التنبؤ بالنظم الحضرية. وسواء كنا نفهم ذلك أم لا، "ستتغير النظم المعقدة بطرق لا يمكننا التنبؤ بها" (Bowman et al, 2015:14).

إن قبول عدم اليقين يعني أننا بحاجة للشعور بالراحة مع العمل في المناطق الرمادية. وقد وصف أحد من أُجريت معهم المقابلات ذلك بأنه "*نهج شبيه بمذهب "زِن " البوذي، حيث يتطلب فهمه القبول، بطريقةٍ ما، بوجود أجزاء أنت غير متأكد من كيفية عملها. لذلك فأنت [بحاجة] لإزالة غطرسة الشعور بأن بإمكانك التنبؤ بما يجري*".

ويعني هذا أيضًا التفكير في وسيلة ناشئة، وذلك باستخدام العديد من الأساليب منها التجريب والتكييف، والشعور بالراحة تجاه التغيير وهو المطلوب دائمًا وعلى مر الزمن وليس فقط في الأماكن المعزولة. ولتحقيق ذلك، يحتاج العاملون في المجال الإنساني إلى ممارسة المراقبة والتكييف أكثر من التخطيط والتنفيذ. وينبغي استكشاف مجموعة من الخيارات المحتملة (Ramalingam and Jones, 2008)، مما ينتج عنه التجريب والتعلم المستمرين (Tyler et al., 2014).

٥,٣ إدراك التغير والمرونة في النظم الحضرية

تعيش المناطق الحضرية في حالة مستمرة من التغير والتطور. وقد وُصفت بعض النظم الحضرية بأنها "قابلة للتكييف"، مع التأكيد بشكل خاص على قدرتها على التكيف مع التغيير (Sanders, 2008; Sitko, 2016b). يذهب ميدوز (2008) إلى أن الأنظمة نتيجةً لمرونتها تتغير وتتحرك ردًا على الأحداث، ما يثبت قدرتها على التأقلم. من أجل فهم كيف قد تتوسع وتتكيف السياقات الحضرية نتيجة للأزمات أو الأعمال الإنسانية، فنحن بحاجة أولاً إلى فهم حالتها الطبيعية للأداء. وكما وضح أحد من أُجريت معهم المقابلات، فإذا قمتَ بافتراضات بدلاً من فهم ما هي الحالة الطبيعية، فسوف "*تخطئ عندما تحاول الانسجام مع هذا النظام ... لذلك عليك أن تفهم ما كان يجري قبل وقوع الكارثة*".

وبمجرد أن نفهم كيف كانت المنطقة الحضرية قبل الأزمة، يمكننا تحديد أثر الأزمة على السياق والأثر المحتمل لأي عمل إنساني. كما أشار مو وأوسوفيسان (2016) إلى أهمية تجاوز "ما حدث" لفهم "سبب ما حدث". إن النظر إلى كيفية تغير الأمور مع مرور الوقت يساعد على تحديد مدى مرونة نظام ما ومدى أهمية أي تغيير، وهو الخطوة الأولى لمعرفة "سبب ما حدث". قد تكون الجداول والرسوم البيانية أدوات مفيدة هنا (Meadows, 2008).

يمكن للأزمات الحضرية وضع النظم تحت ضغط هائل، ويمكن أن تصل لدرجة الانفصال عن بعضها البعض. كما أشار أحد من أجريت معهم المقابلات، "إذا كنت... تحاول تطبيق طريقة الأداء الإنساني أو البرامج الإنسانية وفقًا لشكلها المعتاد ولم تأخذ بعين الاعتبار أنها تغيرت بسبب الأزمة، فإن طريقتك لأخذ النظام الحضري في الاعتبار سوف يُساء فهمها تمامًا. وهذا شيء نجده بشكل منتظم في عند وقوع أزمات، وهو أن الناس يحاولون

فهم كيف هو المجتمع. يجب... *عليك أن* تفهم كيف تغير بسبب الأزمة في محاولة لمعرفة كيف أصبح الآن". ويعني عدم القدرة على التنبؤ وعدم الترابط بين السياقات الحضرية أن العلاقات بين السبب والنتيجة ليست خطية (Ramalingam and Jones, 2008).

٥,٤ النظر في السياقات الحضرية عبر نطاقات مختلفة

يركز النهج الإنساني التقليدي على الفرد أو على الأسرة. ومع تطور المناهج التشاركية، تم أيضًا تطبيق التركيز على "المجتمع". كما رأينا، فإن طبيعة المجتمعات الحضرية تفرض تحديات على التركيز على المجتمع في منطقة حضرية. وبالإضافة إلى ذلك، هناك مشاكل ذات صلة بالفرد أو الأسرة المتضررة من الأزمة، وهي مشاكل أوسع وقد تتسع لتكون على مستوى المدينة. يمكن للقضايا الوطنية أو حتى الدولية تشكيل مستويات الحي والمدينة (Sitko, 2016b). إن التركيز على مستوى تحليل واحد فقط لن يساعدنا على فهم النظم والسياقات الحضرية.

ويؤكد النهج النظمي على أهمية النظر في عدة نطاقات أو مستويات من الاستجابة (American Red Cross, 2014). وهو يدعم عددًا من التوصيات الحديثة للعاملين في المجال الإنساني، وعلى سبيل المثال، إجراء تحليل "متعدد النطاقات" (Meaux and Osofisan, 2016). معلقاً على الاستجابة لإعصار هايان، أكَّد ماينارد (2015) على أثر المشاكل الممتدة على مستوى المدينة على الخدمات والاتصالات الحضرية المقدَّمة للأسر المتضررة من الأزمات في مدينة تاكلوبان. لاحظ هيكوب وكيلينج (2014: 9) أن المجلس النرويجي للاجئين "تعلَّم تصحيح نهجه في المناطق الحضرية عن طريق... معالجةكيفية تنفيذ التدخلات على مختلف النطاقات وكيفية اتصال مختلف النطاقات وتفاعلها مع بعضها البعض: ولا يتطلب هذا فقط تغيير منهجية التنفيذ، بل يتطلب تحولاً في التحليل والاستراتيجية". لاحظ "إيرل"(2016: 6) أنه على الرغم من أنهم يركزون على مستوى الحي، فإن "النهج القائم على المنطقة يجب أن يعمل على نطاقات مختلفة...[مع مراعاة] كيف يرتبط هذا الحي بالبلدة أو المدينة الأوسع".

في حين أن من المهم "إضافة" النطاقات على مستوى المدينة وغيرها من النطاقات إلى تحليلنا، فإن هذا لا ينفي أهمية الفرد أو الأسرة (Sitko, 2016b). والهدف من ذلك هو أن ننظر عن قصد عبر جميع النطاقات، وليس إحلال واحد محل الآخر. وفي كثير من الأحيان، يمكن للأفراد أن يعملوا "كرابط" بين النطاقات المختلفة. وأشار أحد من أُجريت معهم المقابلات إلى أن امرأة واحدة يمكن أن تكون فردًا، أو ربة أسرة، أو جزءًا من المجتمع، أو بائعًا في السوق، إلى آخره. ويؤكد هذا على الترابط بين النطاقات. في حين أن التركيز على نطاق واحد، أي تضييق التركيز على مجرد فرد واحد، قد يكون أسهل؛ فليس علينا في النهج النظمي سوى أن ننظر عبر النطاقات. ببساطة، كما قال أحد من أُجريت معهم المقابلات، "*أن فهم النظام على نطاق واحد أمراً ليس كافيًا*".

> "النقطة الأساسية هي أن ننظر عمدًا عبر النطاقات... فقد تكون امرأة واحدة فردًا، وربة أسرة، وجزء من المجتمع، وبائعة في السوق، وهكذا."

٥,٥ التركيز على العناصر داخل النظم، وكيف يمثلون كيانًا واحدًا

بحكم طبيعتها، تشتمل النظم الحضرية على عناصر ترتبط ببعضها البعض بعدد من الطرق. على سبيل المثال، "فإن محول كهربائي متضرر قد يؤدي بشكل مباشر إلى إغلاق إمدادات المياه لحي بأكمله أو لمستشفى، مما يقلل بشكل كبير من جودة الخدمات الصحية العامة ويزيد بشكل كبير من المخاطر على الصحة العامة ونوعية الحياة" (ICRC, 2015: 8). ولكننا، كما رأينا، لا يمكننا معالجة مشاكل النظم ببساطة عن طريق "إضافة" أو "ترقيع" عناصر بمفردها (Batty, 2009). كما يعترف رامالينجام وجونز (2008)، تحتاج النظم لفهمها من حيث الترابط والاعتماد المتبادلَيْن، وليس كمجرد مجموعة من العناصر. ولشرح ذلك، وضَّح بومان وآخرون (2015) أننا لا نستطيع أن نفهم لماذا لا يوجد ماء في نهر من خلال النظر إلى مجرى النهر. وقد ورد هذا الطرح في كثير من المؤلفات التي استعرضت هذه الورقة (بما في ذلك Garrett, 2005; Batty, 2009; da Silva et al., 2012; Yazdani et al., 2014; Brown, 2015a; Currion, 2015; Kadihasanoglu, 2015; UN Habitat, 2015d).

مع تطور النظم الحضرية، تتطور الروابط فيما بينها - بين الكهرباء وإمدادات المياه، وبين النقل والاتصالات (Yazdani et al., 2014). وهذا ما يسمى أحيانًا "الظهور"، في اشارة الى أنماط التفاعل التي تتطور بشكل طبيعي وغير موجَّه (Sanders, 2008). "الظهور" هو كيف تثبت النظم إبداعها وتفردها - وهو يعني أيضًا أن النظم في بعض الأحيان، "تعمل ككيان واحد أو لا تعمل على الإطلاق" (Ruth and Coelho, 2007: 327). ولا يعني هذا أن التركيز على النظام ككل مناسب في جميع الأوقات. وبدلاً من ذلك، فكما رأينا بشأن نطاقات التحليل المتعددة، فمن المهم أن ننظر إلى العناصر داخل النظام والنظام ككل. في نظرية النظم، فإن النهج "الشمولي" هو نهج النظر في النظام بأكمله، في حين يشدد النهج "الاختزالي" على فحص الأجزاء الفردية (Rafferty, 2007). في الأزمات الحضرية المعقدة، يحتاج العاملون في المجال الإنساني إلى استخدام النهجين الشمولي والاختزالي معًا لأن كلاً منهما يظهر لنا شيئًا لا يظهره الآخر (انظر الشكل ٣). وقد يتطلب ذلك مجموعة جديدة من المهارات لا يمتلكها حتى الآن العاملون في المجال الإنساني الذين ركزوا على تطوير قدراتهم لمعالجة المشاكل القطاعية المحددة (ICRC, 2015).

الشكل ٣. مقارنة بين النهجين الشمولي والاختزالي

٥,٦ إدراك التسلسل الهرمي والعلاقات المترابطة داخل النظم الحضرية

تقوم النظم بتطوير التسلسلات الهرمية من أجل تقليل كمية الضغط والطلب على النظام. وتقلل التسلسلات الهرمية من كمية المعلومات التي تكون هناك حاجة إلى تتبعها في نقطة واحدة (Meadows, 2008). وهي ليست نفس التسلسلات الهرمية التي نجدها داخل المنظمات، بحيث أنها لا ترتبط بالسلطة والمكانة. تحتوي النظم على "تسلسلات هرمية للنطاق": الإجراءات التي تحدث على نطاق واحد (في منزل أو حي) تسبب آثارًا على نطاقات أخرى (وطنية أو على مستوى المدينة) (Ramalingam and Jones, 2008).

ويعد الترابط جانبًا "عضويًا" في جميع النظم (Ricigliano and Chigas, 2011). وهو قد يحدث "بين العناصر الفردية لنظامٍ ما، وبين النظم الفرعية، وبين النظم نفسها، وبين المستويات المختلفة لنظام، وبين النظم والبيئات، وبين الأفكار، وبين الإجراءات، وبين النوايا والأفعال" (Ramalingam and Jones, 2008: 9).

٥,٧ التركيز المكاني من دون التقيد بالجغرافيا

تتجذر السياقات الحضرية بطبيعتها في الحيز المكاني. ومن حيث أنها تتمحور حول المستوطنات البشرية وسبل العيش، فهي غالبًا ما تتشكل حول "خاصية جغرافية أو مناخية" مستقرة نسبيًا مثل النهر أو الجبال أو تغيرات درجة الحرارة بحسب المواسم (Sanders, 2008: 278).

وفي الآونة الأخيرة، تمحور الكثير من الإهتمام والمناقشات المتعلقة بالإستجابة الإنسانية في المناطق الحضرية حول "المناهج القائمة على المناطق".[٥] وأكثر "سمة مميزة" لهذه المناهج هي التركيز على منطقة جغرافية محددة، ومحاولة الحصول على نظرة شمولية ضمن هذا التركيز الجغرافي (Parker and Maynard, 2015)؛ وتركز المزيد من المناهج الإنسانية التقليدية على قطاع أو مجموعة مستهدفة (Parker and Maynard, 2015; Earle, 2016). في حين أن المناهج المستهدفة جغرافيًا لها فوائد، بما في ذلك إمكانية تطوير برامج "مشتملة" تجمع شعوبًا بأكملها معًا في منطقة معينة، وبالتالي القدرة على تخفيف حدة التوتر والصراع (Parker and Maynard, 2015)، فإن هناك أيضًا خطر قطع الاتصال بالديناميات والاتصالات الحالية الموجودة عبر مساحة حضرية، وليس فقط في أي منطقة واحدة. وكما رأينا، فمن شبه المستحيل رسم حدود تعطينا صورة عن مجتمع واحد. في حين أن النهج القائم على المنطقة قد يكون "مشتملاً" للمشتركين فيه، فإن الترابط يعني عدم إمكان ترسيم منطقة واحدة بمفردها في أي نظام حضري.

بناءً على بعض الأفكار المُستقاة من النهج القائم على المنطقة، فإن النهج النظمي للمناطق الحضرية يشجع الوعي المكاني ولكن ليس إلى درجة الإقصاء الجغرافي. ويعني هذا أخذ الجوانب المكانية للمدن في الإعتبار، بما في ذلك الخصائص الإدارية والمادية والبنية التحتية والبيئة المبنية والقرب الجغرافي والخصائص الجغرافية، مع عدم حصر ذلك الفهم في الحدود الجغرافية. وهو يعني فهم الترابط داخل النظم الحضرية والنظر في هذه الصِلات عبر نطاقات مختلفة من الاستجابة - من الأسرة إلى الحي إلى المدينة والمنطقة بأكملها... إلى آخره.

٥,٨ النهج النظمي لفهم أصحاب المصالح في المناطق الحضرية

إن فهم طريقة أداء النظم يتطلب منَّا أيضًا أن ننظر إلى الجهات الفاعلة التي تلعب دورًا في النظم الحضرية، والتي يطلق عليها غالبًا أصحاب المصالح. ويعد هذا مهمًا بشكل خاص بسبب التنظيم الذاتي والطبيعة الهرمية للنظم. يعرَّف "صاحب المصلحة" بأنه أي جهة فاعلة لديها "ما تكسبه أو تفقده" (Hovland, 2005). وعادة ما يكون له "مصلحة مباشرة أو غير مباشرة" في هذه القضية، وتكون "مواقفه وأفعاله" ذات قدرة على التأثير

على أي نشاط (Health Cluster، بدون تاريخ). أصحاب المصالح في المناطق الحضرية هم "مجموعة متنوعة من الأشخاص من مختلف الخلفيات والأدوار والخبرات التي تمثل جوانب مختلفة من التعقيد في المناطق الحضرية" (Tyler et al., 2014). وهم لا يختلفون بالضرورة عن أولئك الموجودين في السياقات الريفية، ولكن من المهم أن نأخذ في الإعتبار عدد الجهات الفاعلة وعلاقاتهم المتشابكة مع بعضهم البعض. ويبين الشكل ٤ أدناه بعض الأمثلة على أصحاب المصالح في المناطق الحضرية.

الشكل ٤. أصحاب المصالح في المناطق الحضرية

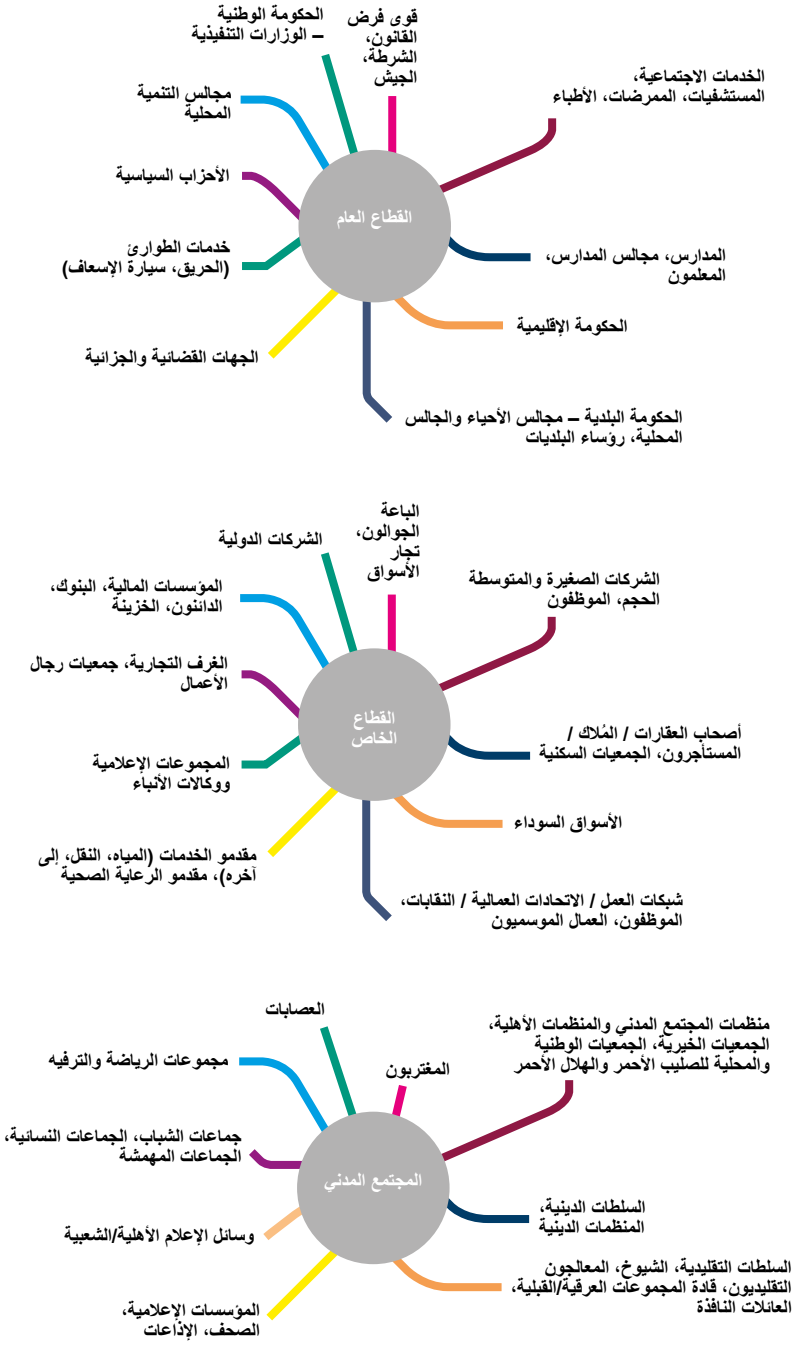

في كثير من الأحيان، يتم تعريف أصحاب المصالح بكمية القدرة و/أو المصلحة التي لديهم فيما يتعلق بالنظام (Mitchell et al., 1997). وبينما تعد السلطة والمصلحة عوامل مهمة، فهي ليست الجوانب الوحيدة التي يجب أخذها في الاعتبار بخصوص أصحاب المصالح في السياق الحضري. ويتم استكشاف هذه العوامل المختلفة أدناه.

الجانب الأول الذي يجب أن نفهمه يتعلق بـ **الأدوار والمسؤوليات**: من هم أصحاب المصالح ذوو الصلة وما أدوارهم ومسؤولياتهم ذات الصلة - والتي قد تكون غامضة (Levron, 2010). قد يكون هناك أيضًا إنفصال بين الشرعية على الورق وتلك التي يعترف بها السكان. فعلى سبيل المثال، قد ينظر السكان في بعض السياقات إلى الشرطة باعتبارها غير شرعية (de Boer, 2014). وعلى هذا النحو، قد يكون من المفيد فهم ما هي مجالات المسؤولية الموجودة وكيف يتم تقسيمها؛ وما هي التكليفات؛ وأي ترتيبات رسمية أو غير رسمية تحدد الخطوط العريضة للأدوار والمسؤوليات.

وثانيًا، من المهم أن نفهم **قدرات ومواطن ضعف** مختلف أصحاب المصالح هؤلاء. وتشتمل القدرة على وجود الجهة الفاعلة ووضوحها ومصداقيتها، فضلاً عن الموارد المتاحة لها (التمويل والتسهيلات والمعدات). ويمكن أن تشمل أيضًا العلاقات والشبكات، والمهارات الشخصية والتنظيمية، والبيانات، والقواعد والقيم، والقدرة على اتخاذ القرارات (Patrick, 2011; American Red Cross, 2014). وقد تكون مواطن الضعف حادة ومزمنة على حدٍ سواء، وتشمل الجوانب النفسية والمادية والمالية والعاطفية (Lucchi, 2014). في كثير من الأحيان، تتعلق مواطن الضعف بالاعتماد على صاحب مصلحة آخر أو المخزون أو التدفق في النظام، وبالتالي يمكن تحديده من خلال فحص الترابط.

وثالثًا، تعد **السلطة** جانباً رئيسياً؛ ويتعلق هذا أيضًا بالشرعية والسلطة والوكالة والتمثيل. يمكن تعريف السلطة بأنها "تعبير عن السيطرة والنفوذ" (CARE, 2014:10) ويمكنها أن تؤثر على حدوث أو عدم حدوث فعل ما (Oxfam GB, 2014). قد تتخذ السلطة أشكالاً عديدة، قد تكون مرئية (آليات صنع القرار والقوانين والقواعد والإجراءات)، أو غير مرئية (المعايير والأيديولوجيات)، أو مخفية (التأثير من وراء الكواليس)، وهي إما رسمية أو غير رسمية (Wu, 2011; Pettit, 2013; CARE, 2014; Oxfam GB, 2014). تؤدي السلطة دورًا في كل العلاقات، وهي متغير قابل للتغير. على الرغم من أننا كثيرًا ما نفكر في السلطة بأنها "السلطة على"، فيمكن أيضًا فهم السلطة على أنها "القدرة على" و"السلطة مع" و"السلطة داخل" (Pettit, 2013; CARE, 2014).

ويتضمن فهم السلطة ما يلي:

- من يمتلكها، ومن أين تأتي، وللتأثير على ماذا يتم استخدامها، وما الذي يعززها؛
- كيفية ممارستها، وما هي الضوابط والتوازنات التي قد تكون متواجدة؛
- ما هي الفرص المتاحة للاستفادة من السلطة من أجل تحقيق نتائج إيجابية؛
- ما هو الخطر أن يتم استخدام السلطة لتحقيق نتائج سلبية.

ثمة عامل متعلق بالقدرة وبالسلطة أيضًا، وهو القدرة على **الوصول.** قد تكون القدرة على الوصول مادية أو مالية أو متعلقة بالسلطة والأيديولوجية. ويمكن تقييدها عن طريق السيطرة على جهة فاعلة أخرى. إن فهم القدرة على الوصول يشمل النظر في من الذين يمتلكون هذه القدرة، وسبب امتلاكهم أو عدم امتلاكهم هذه القدرة، وتكلفة امتلاك هذه القدرة، والعوائق التي قد تحول دون القدرة على الوصول. ويشمل الأمر أيضًا تأثير القدرة على الوصول (أو تأثير عدم إمكانية الوصول)، وما إذا كانت هناك أنماط لمن يمكنه الوصول أو من لا يمكنه، وأين يتم توزيع هذه القدرة بالتساوي وما إذا كانت بنفس الجودة والكمية.

ومن المهم أيضًا فهم **العلاقات** بين أصحاب المصالح، وبين أصحاب المصالح والعناصر الموجودة داخل النظم (Olsher, 2015; Verhagen, nd). ويمكن وصف طبيعة العلاقات بين الجهات الفاعلة بأنها تماسك اجتماعي بين هذه الجهات (Guay, 2015). وقد تكون العلاقات شخصية أو تحالفات أو شبكات رسمية أوغير رسمية (Pettit, 2013). وفي بعض الأحيان، يكون الوصف الأفضل لها هو **الصراع**، والذي يحدث نتيجة لعدم التوافق الحقيقي أو المتصوَّر في الأهداف و/أو التصورات و/أو السلوكيات (Scheffran et al., 2012). في أي نظام حضري، قد يكون من المفيد فهم أي صراعات متكررة؛ ومن هم أصحاب المصالح المرتبطين بالصراع وما هي مصالحهم الرئيسية؛ وما هي الجهات الفاعلة التي قامت بدور الوساطة في ذلك؛ وما إذا كان الصراع قد تطور للعنف، وأي جذور تاريخية لذلك؛ والتوقيت أو الموسم ذو الصلة؛ والحواجز الأساسية (مصادر التوتر)، وجهات الوصل (بناة السلام) (Zicherman et al., 2011; Wallace, 2015; Monzon, nd). يمتلك الصراع القدرة على التصاعد والتحول إلى عنف، والذي يعمل أيضًا في حد ذاته كنظام، مع الترابط ذي الصلة بين الأنواع والعمليات التي تربطها والسياق المؤسسي الأوسع (Moser and Rodgers, 2012). غالبًا

ما يشتمل الصراع والعنف على عناصر مكانية، ويمكن ربط أحداث يومية تبدو صغيرة بصراعات مستمرة أعمق وأكثر أهمية (ibid.). ويمكن وصف العلاقات أيضًا من حيث درجة **التأثير**. ويمكن فهم التأثير بأنه الدرجة التي يمكن بها للجهات الفاعلة أو عناصر النظام ممارسة الضغط على بعضها البعض. وبالتالي، فمن المهم أن نفهم كيفية ارتباط الجهات الفاعلة، وما هي ديناميات السلطة الموجودة، ومدى شفافية الجهات الفاعلة وأمام من هي مسؤولة (CARE, 2014)، مع الأخذ في الاعتبار أن الجهات الفاعلة قد لا تكون صريحة بخصوص مدى تأثيرها.

يتعلق الجانب النهائي الذي يجب فهمه بمصالح أصحاب **المصالح وتصوراتهم.** وقد تكون المصالح عامة أو متعلقة بقضية معينة، وتشمل الحوافز أو المثبطات الخاصة بالجهات الفاعلة ودوافعها وأهدافها ووجهات نظرها (Ross et al., 2000; CARE, 2014). في بعض الأحيان تكون هذه المصالح واضحة؛ وفي حالات أخرى تكون مخفية أو غير واضحة - وقد تكون أحيانًا في صراع مع بعضها البعض أو مع مصالح أشخاص آخرين (Mathur et al., 2007). ومن المهم أيضًا أن نفهم أسباب هذه المصالح ودوافعها، والتي قد تتأثر بثقافة الجهة الفاعلة ونمط حياتها ومعتقداتها (US Marine Corps, 2014). كما أن الأيديولوجيات والحوارات والقيم تساهم في تكوين ما يعد "طبيعيًا" و "مقبولاً" في هذا السياق (CARE, 2014). وتعد التصورات مهمة أيضًا، حيث يمكن للجهات الفاعلة المختلفة أن ترى الوضع بعدة طرق (Verhagen, nd). ويعطي وامسلر (2004) مثال من يختارون العيش في منطقة معرضة للخطر لأنهم يتصورون أن التهديد ضعيف، ويعطون قيمة للمكانة المتأتية من العيش في تلك المنطقة. في المناطق الحضرية حيث ثمة تنوع سكاني، فحتى المجتمعات المتجذرة في هذه الأمكنة ليس لديها نفس التصورات أو نفس ذكريات الماضي (Kenya Red Cross, 2016).

٦. فهمنا الحالي للنظم الحضرية

هناك الكثير من الأبحاث والتقارير المتعلقة بالمناطق الحرضرية التي تتأمل في الدروس المستفادة من الاستجابة لزلزال هايتي؛ والذي يمكن القول أنه أكبر وأعقد كارثة حضرية حتى الآن. ولكن كما أشار أحد من أُجريت معهم المقابلات، "*لم تكن هايتي أسوأ سيناريو للاستجابة الحضرية*". عدم وجود نظم البنية التحتية مسبقًا على نطاق المدينة والخاصة بالنفايات والكهرباء... إلى آخره، خفض من عدد النظم الحضرية الخاصة بالتنقل وقلل من تعقيدها. وبينما قد حققنا تحسينات وتحولات كبيرة في السياسات والممارسة فيما يتعلق بالاستجابة الحضرية منذ ذلك الحين، ما زال لدينا طريق طويل لنقطعه.

٦,١ ما هي المناهج التي اتبعها العاملون في المجال الإنساني لفهم السياقات الحضرية حتى الآن؟

بينما لم يكن هدف هذه الورقة تقيدم تصوير شامل للمناهج الإنسانية الراهنة لفهم السياقات الحضرية، فقد تم تحديد عدد من المبادرات. وتشمل هذه المبادرات اعتماد أدوات تحليل السوق كما وُصفت في إحدى ندوات "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" الحديثة عبر الإنترنت، وسلسلة من الدورات يقودها "سجل المهندسين المختصين في الإغاثة عند الكوارث" (RedR) والتي تبحث في توفير المياه وخدمات الصرف الصحي والنظافة الصحية واستجابات المأوى في السياقات الحضرية. أجرت مجموعة العمل المختصة بالمناطق الحضرية والتابعة لل"منتدى العالمي المعني بالأمن الغذائي والتغذية" عددًا من التقييمات التجريبية التي استكشفت التحديات في المجتمعات الحضرية والتعامل مع الجهات البلدية الفاعلة.

استكشف عدد من المنظمات استخدام أدوات تحليل السياق، بما في ذلك تحليل الشبكة الاجتماعية والاقتصاد السياسي. تخضع مجموعة متنوعة من أدوات التقييم للمراجعة والتكييف، وتبدأ المزيد والمزيد من الوكالات باستخدام التكنولوجيا مثل نظم المعلومات الجغرافية (GIS data) ورسم الخرائط المكانية لتحسين التحليل المكاني. وعلى الرغم من تحقيق بعض التقدم، إلا أنه يمكن وصف هذه الأنشطة بأنها "مجزأة". وما زالت "الصورة الكبيرة" مفقودة فيما يتعلق بكيفية ارتباط النظم الحضرية وأصحاب المصالح، وتفاصيل التعقيد.

وهناك العديد من الأمثلة على عمل فيها الأفراد والمنظمات على هذه القضايا لبعض الوقت، وظهرت مبادرات جديدة طوال مدة البحث لإصدار هذه الورقة. على سبيل المثال، قام برنامج "المشروع الدولي للاهتمام/مؤسسة الإسكان التعاوني 'KATYE'" (PCI/CHF 'KATYE') في هايتي بتجريب "النهج القائم على الحي" الذي استند على أعوام من الخبرة في الاستجابة للأزمات في المناطق الحضرية، وبُني على عناصر التفكير النظمي. ولكن هذه التجربة غالبًا ما تتركز على عدد قليل محدود من

الأفراد، ولم تُترجم إلى سياسة تنظيمية أو نهج يُستخدم باستمرار. إن بعض أطر العمل القائمة التي يستخدمها العاملون في المجال الإنساني تأخذ النظم في الإعتبار بطريقتها الخاصة. ويشمل إطار العمل المتعلق بسبل العيش المستدامة البحث في إمكانية الوصول إلى الموارد، إلى البنية التحتية والخدمات، حيازة الأراضي، الأسواق، والطاقة...إلى آخره (Sanderson, 2000; ACF, 2010; Crawford, 2011). وبالقيام بذلك، يرى البعض أن النهج حاول "دمج الاستجابة الإنسانية عبر مختلف القطاعات" (Crawford, 2011: 330). ومع ذلك، يركز النهج على المستوى الفردي، مما يحد من قدرته على إعطاء صورة عن الترابط بين هذه العناصر المختلفة.

وبالمثل، فقد تم استخدام تحليل الصراع منذ التسعينات من القرن الماضي من قبل الممارسين في مجالي التنمية والعمل الإنساني (Midgley & Garred, 2013). يسعى تحليل الصراعات، أو حساسية الصراع، بالتحديد لفهم السياق والأثر المحتمل الذي يُحدثه أي عمل على هذا السياق (Zicherman et al, 2011). وقد وجدت بعض المنظمات أيضا سبلاً لدمج التفكير النظمي في برامجها، ولكن ليس من وجه نظر حضرية. على سبيل المثال، اعترفت منظمة "أوكسفام" (Oxfam) بأهمية "فهم كيف تعمل النظم وأين توجد السلطة" واستخدمت مناهج التفكير النظمي للقيام بذلك (Bowman et al, 2015:7).

وفي الآونة الأخيرة قامت منظمات أخرى بتجريب مناهج "قائمة على الحي" أو "قائمة على المنطقة" (Parker & Maynard, 2015). إن "التحالف العالمي للأزمات الحضرية" (Global Alliance for Urban Crisis) الذي أُطلق مؤخرًا قد جعل من فهم النظم وأصحاب المصالح واحدة من مجالات اهتمامها الأساسية، وتحت هذا الشعار الأوسع أقامت "مبادرات إمباكت" و"منظمة المدن المتحدة والحكومات المحلية" (UCLG) مؤخرًا سلسلة من ورش عمل لدراسة الحلات مع الجهات المحلية لتحديد كيف يمكن جعل الاستجابة الإنسانية أكثر ملاءمة للأزمات الحضرية.[٦] وهناك أيضًا عدد من الأدوات تخضع حاليًا للتطوير وتسعى للبحث في عناصر معينة من فهم النظم الحضرية، بما في ذلك "أداة تحليل للوضع الحضري" (Urban Situational Analysis Tool) من منظمة "إنقاذ الطفولة"، وأداة "تحليل السياق" (Content Analysis) الحضري التي يجري تطويرها من قبل "لجنة الإنقاذ الدولية" (IRC) بالنيابة عن اتحاد مموَّل من قِبَل وزارة التنمية الدولية (DFID) و "مكتب المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية" (ECHO)، وأداة "تنميط للمدن والأحياء" (City and Neighbourhood Profiling) التي يجري تطويرها من قبل مكاتب "موئل الأمم المتحدة" في سوريا ولبنان.

وهناك أيضًا إمكانية للتعلم من عمل كل من خبراء التخطيط والتصميم الحضري، ومن الجهات الفاعلة في مجال التنمية والمنظمات الوطنية، والذين كانوا يعملون على فهم السياقات الحضرية لبعض الوقت ويمكنهم البناء على النهج الإنساني القائم. وكما قال كيلينج وبوانو (2016:48)، "إن تعقيد المناطق الحضرية يتطلب في المقابل وسائل معقدة للتحليل. تتميز التحليلات التقليدية لكل من العاملين في المجال الإنساني وخبراء التخطيط

والتصميم الحضري بنقاط قوة ونقاط ضعف؛ وينبغي أن يُنظر إليها باعتبارها تكميلية ومُثرية لوجهة النظر الأخرى، بدل من النظر إليها على أنها متناقضة". وبالمثل، أشار العديد ممن أُجريت معهم المقابلات إلى ثروة المعلومات المتعلقة بالسياق التي يمتلكها كل من زملاؤهم الوطنيون ومنظمات التنمية والمنظمات الوطنية.

٦,٢ ما الذي يقف في طريق الفهم الأعمق للنظم الحضرية؟

مع هذا الاهتمام من جانب الوكالات الإنسانية والمنظمات غير الحكومية والجهات المانحة والتزامها بالاستجابة بشكل أكثر فعالية للأزمات الحضرية ، فليس لدينا فهم كافٍ للسياقات الحضرية حتى الآن. إن هناك عدد من الحواجز التي تقيد في الوقت الحالي درجة فهم العاملين في المجال الإنساني للسياقات الحضرية على نحو فعال. ويمكن تصنيف هذه الحواجز على نطاق واسع إلى حواجز فردية، وحواجز مؤسسية، وحواجز ذات صلة بطبيعة المشكلة.

> "تستمر منظومة العمل الإنساني في الاستجابة للأزمات الحضرية كما لو كانت في الريف - لذا فإن العديد من الأفراد لم يطوروا حتى الآن المهارات والخبرات المتعلقة بالاستجابة بفعالية في السياقات الحضرية."

الحواجز الفردية

عند مواجهة مواقف معقدة، يعتمد العقل البشري على تجاربه الخاصة السابقة وعلى الحدس، وذلك لفهم الموقف باستخدام ما يمكن وصفه بأنه "نماذج عقلية بسيطة" (Besiou et al., 2011: 80). وعلى الرغم من العدد المتزايد من الأزمات الإنسانية التي تحدث في المناطق الحضرية، فإن معظم من يعملون في القطاع الإنساني قد تعرضوا لتجارب غير حضرية في المقام الأول. وبغض النظر عن الموقع، يرجع هذا لأن نظام العمل الإنساني ما زال يستجيب للأزمات الحضرية كما لو كانت في الريف - لذا فإن العديد من الأفراد لم يطوروا حتى الآن المهارات والخبرات المتعلقة بالاستجابة بفعالية في السياقات الحضرية. وكما أوضح أحد من أُجريت معهم المقابلات، *"هناك الكثير من الأشخاص الذين عملوا معظم حياتهم في البيئات الريفية وشبه الحضرية وليس لديهم بالضرورة الخبرة بالعمل في البيئات الحضرية"*. وقال آخر ممن أُجريت معهم المقابلة مازحًا بأن هناك طريقة تفكير ريفية متأصلة للغاية بين العاملين في المجال الإنساني اليوم لدرجة أنه *"يمكنك حتى أن ترى آثار ذلك في أننا نتجول في سيارات الدفع الرباعي في وسط مدينة"*. عندما يواجه العاملون في المجال الإنساني تعقيد المدينة، نلجأ إلى نماذجنا العقلية المعروفة غير القادرة على تزويدنا بفهم النظم الحضرية التي نحاول فهمها. وفي كثير من الأحيان، قد لا ندرك حتى أننا نستخدم النماذج العقلية الموجودة لدينا ولا نبحث عن معلومات جديدة - وخاصة عندما لا نكون متأكدين من الأسئلة التي يجب طرحها أو من الذين يجب أن نوجه لهم الأسئلة.

يتطلب التفكير النظمي من العاملين في المجال الإنساني العمل ضد طبيعة المواقف التي يوضعون فيها، وأحيانا ضد طريقة تفكيرهم الخاصة. يتطلب التفكير النظمي أخذ مسافة ما، حيث طور العديد من العاملين في المجال الإنساني مهاراتهم للاستجابة واتخاذ القرارات بسرعة.

وهناك سمة فردية أخرى قد تعوقنا كعاملين في المجال الإنساني هي ميلنا للنصوص والجداول وجداول البيانات. يشير كروفورد وكيلينج (2012) إلى أن العاملين في المجال الإنساني يفضلون أن تكون المعلومات قائمة بشكل كبير على النصوص والأرقام، في حين أن خبراء التخطيط والتصميم الحضري يميلون إلى استخدام وسائل أكثر بصرية، بما في ذلك الخرائط والرسوم البيانية، والتي يمكن أن تساعد في فهم التعقيد والترابط.

الحواجز المؤسسية

الحاجز المؤسسي الأول له علاقة بالتركيز على القطاع الإنساني. في الوقت الحاضر، إن العاملون في المجال الإنساني يقسّمون البرمجة والتنسيق اللذان يقومون بهما إلى قطاعات مختلفة (التعليم، والأمن الغذائي، والصحة، وما إلى ذلك). كسياق، يمر النظام الحضري عبر جميع هذه القطاعات. وهناك العديد من التبعات المترتبة على ذلك، منها:

- إن الهيكل القائم على القطاع يجعل من الصعب التفكير بصورة شمولية حول الموقف (Crawford and Killing, 2012)، كما يجعل من الصعب رؤية الترابط.
- عندما يقسِّم العاملون في المجال الإنساني برامجهم إلى مجموعات قطاعية، لا يكون هناك "مُلَّاك" واضحون للنظام الحضري، لذا فإن الخبرة الحضرية والتفاهم عبر أي منظمة يكونان غير مكتملين. لم يتم تطبيق الخبرة الحضرية في جميع إعدادات البرامج في منطقة حضرية (Earle, 2016).
- هناك قضايا حضرية (مثل الكهرباء) لا تنسجم مع هيكل القطاع الحالي.
- تنقسم البيئات الحضرية أنفسها على أسس قطاعية أو كخطوط إدارية، مما لا يتوافق بالضرورة مع الهياكل الإنسانية.

يشير ريسيجليانو وتشيجاس (2011) إلى أن الهياكل المانحة الحالية وترتيبات التمويل تشجع أيضًا على التركيز على جانب واحد فقط من النظام.

وهناك حاجز آخر يحول دون الفهم الفعال هو تركيزنا على الفرد في المناطق المتضررة من الأزمة. وفي حين أن هناك فوائد لهذا من حيث المساءلة والكرامة والتمكين، فهو يضم عددًا من القيود:

- يحد من قدرة المنظمات الإنسانية على العمل على نطاق أوسع مع المجتمعات بالقدر المطلوب في الأزمات الحضرية (Crawford and Killing, 2012).

- يؤدي إلى معايير الضعف التي، مع سعيها إلى دعم الأفراد، تحد من القدرة على القيام بذلك حيث يتم تقاسم الاحتياجات مع الآخرين عبر المنطقة مثل حالة وجود حاجة أساسية هي الحصول على المياه وتجذر المشكلة في البنية التحتية البلدية (Crawford and Killing, 2012).

- تواجه الرسالة المهمة المتمثلة في دعم التعافي الذاتي و"مساعدة الناس على مساعدة أنفسهم" تحديات عملية في البيئات الحضرية، حيث لا يمتلك الأفراد القدرة على مواجهة التحديات على نطاق المنظومة أو القدرة على إصلاح الأنابيب في إطار نظام المياه البلدية.

عند الاستجابة للأزمات، يلجأ العاملون في المجال الإنساني بشكل تلقائي إلى النموذج "المريح مؤسسيًا" للاستجابة الإنسانية في المناطق الريفية أو في المخيمات (Anderson, 2012: 4)، وهونموذج طُوِّرَ على مدى سنوات في أماكن كان هناك فيها "القليل مما يُبنى عليه"، لذا فإن المنظمات قد "وضعت نظمها الخاصة" (Earle, 2016: 4) التي تعد الآن "بطيئة" (Dodman et al., 2013) ومقاومة للتكيف في بعض الحالات. ويعتبر التعامل مع التعقيد كـ "تساهل"؛ وتفضل المنظمات المناهج البسيطة التي يُنظر إليها على أنها منخفضة المخاطر (Ramalingam and Jones, 2008). إن المصطلحات التي تدور حول "المجتمع المحلي"، و"التعبئة" والعمل "في الميدان" تعكس جذورنا الريفية. وقد اتخذت بعض المنظمات خطوات للاستجابة بشكل مختلف للأزمات في المناطق الحضرية، ولكن جهودهم في الممارسة العملية كانت موجَّهة لمعالجة القضايا المتعلقة بالنظم والترابط، ما يعني في الأغلب التركيز على أحياء محددة جغرافيًا، الأمر الذي لا يشمل معالجة القضايا الأوسع نطاقًا والمتعلقة بالنظم، والتي تنظر إليها على أنها تتجاوز ميزانياتها (Crawford and Killing, 2012). كما يؤدي ذلك لصنع "جزر صغيرة من التميز، بينما تم إهمال المناطق والسكان الذين يتميزون بنفس القدر أو بقدر أكبر من الضعف، كما تم تجاهل البنية التحتية والأسواق التي تربط هذه الأحياء والمدينة الأوسع" (Earle, 2016: 5). والنتيجة هي أن العاملين في المجال الإنساني لا يترجمون رغبتهم في فهم السياق وتمكين الجهات الفاعلة المحلية إلى واقع عند الاستجابة للأزمات في المناطق الحضرية، وعلى وجه الخصوص فإنهم يفتقدون الفروق الدقيقة في السياق الحضري (Fan, 2012).

> عند الاستجابة للأزمات، يلجأ العاملون في المجال الإنساني بشكل تلقائي إلى النموذج "المريح مؤسسيًا" للاستجابة الإنسانية في المناطق الريفية أو في المخيمات.

وهناك جانب آخر لنموذجنا الافتراضي يتعلق بعدم مرونتنا (Skopec et al., 2010; Fan, 2012; Pavanello, 2012; Scott, 2014; Meral, 2015). غالبًا ما يتبع القطاع الإنساني نهج "التخطيط ثم التنفيذ"، والذي قد يساعدنا على الاستعداد مسبقاً للأزمات ولكنه يحد من قدرتنا على الاستجابة للحالات الناشئة. من أجل الاستجابة بفعالية للأزمات في المناطق الحضرية، فإننا بحاجة إلى إيجاد سبل لنكون أكثر مرونة في نهجنا، وإلى التركيز بصورة أقل على التخطيط وبصورة أكبر على الملاحظة، وإلى التركيز بصورة أقل على تنفيذ نماذجنا المصممة مسبقًا للاستجابة وبصورة أكبر على كيفية التكيف مع السياق الموجود بالفعل.

إن التمسك بنموذجنا الافتراضي يمنعنا أيضًا من البناء على الهياكل والقدرات الموجودة. وقد وضح أحد من أُجريت معهم المقابلات ذلك قائلاً: "*عندما يتعلق الأمر بالعمل الإنساني ... فإن النظام القائم لا يمكنه التأقلم فجأة... وبالتالي يتم رمي كل شيء ... ويكون العاملون في المجال الإنساني... كما لو كانوا يبدءون من ورقة بيضاء ... ويعد القيام بذلك في منطقة حضرية إسرافًا ويؤدي أيضًا إلى سحب الموارد والأشخاص الجيدين بعيدًا عن الخدمات القائمة، ويقوض مفهوم السلطات المحلية وغيرها من القادة المحليين في ذهن المجتمع المضيف*".

ويتم تعزيز النماذج التلقائية والجاهزة عندما يتم استخدام أدوات تقييم تلقائية وجاهزة تفشل في التقاط تعقيدات البيئة والمجتمعات الحضرية (Kyazze et al., 2012; Currion, 2015)، مثل علاقات السلطة (Fan, 2012). على الرغم من أن المزيد والمزيد من المنظمات قد بدأت إعادة فحص الأدوات التي تستخدمها من حيث ملاءمتها للأزمات الحضرية، فهناك أيضًا درجة من الحذر من الأدوات؛ حيث يتردد الكثيرون في استخدام أداة جديدة. ويرجع سبب هذا الخوف إلى وجود تعريف ضيق إلى حدٍ ما "للأدوات"، والذي يستحضر أفكاراً عن اكُتيبات طويلة وعمليات بيروقراطية. وقد يساعد توسيع تعريف "الأداة" إلى شيء أشبه بـ "أي شيء يمكن استخدامه لمساعدتك" على تهدئة هذا الرُهاب من الأدوات.

وهناك حاجز آخر هو أن نطاق وديناميكية الأزمات الحضرية صعبا الفهم للغاية لمنظمة واحدة بمفردها، وخاصة إذا كانت تركز عملها على القطاع و/أو المنطقة الجغرافية، وأيضًا لأن "المنظمات قد لا تملك الموارد اللازمة لتحمل العبء التحليلي لفحص النظم التي تعمل فيها ... وقد لا يكون لديها المجال لإدخال طريقة فهم تكون واقعية" (Ramalingam and Jones, 2008: 66). إن فهم السياقات الحضرية قد يتطلب أيضًا مجموعة واسعة من المهارات والخلفيات، ومن غير الواقعي توقع وجودها في متناول أي منظمة واحدة. ولمعالجة ذلك، فنحن بحاجة للعمل معًا بشكل أفضل، ولقبول أن الفهم الكامل قد لا يكون ممكنًا أبدًا. ففي حين ينبغي علينا السعي لتوسيع فهمنا، فنحن بحاجة إلى قبول مستوى من عدم اليقين بدلاً من السعي للمستحيل.

ويعد ضيق الوقت حاجزًا ذي صلة. فكما أشار أحد من أُجريت معهم المقابلات، *"الأمر يتطلب بعض الوقت لفهم تعقيد البيئة الحضرية."* غالبًا ما تكون الجداول الزمنية للبرامج الإنسانية قصيرة جدًا، في حين أن الفهم الجيد قد يستغرق شهورًا أو حتى أعوام. وإذا نظرنا إلى المدن التي شهدت أزمات منذ عدة عقود، على سبيل المثال تعافي لندن من الحرب العالمية الثانية، سنجد أن التعافي وإعادة التنمية قد استغرقا عقودًا. إن استكمال العديد من مناهج تحليل السياق الحالية في القطاع الإنساني يستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر؛ وفي برنامج مدته 10 أشهر أو 12 شهرًا سيكون من غير الواقعي أن نخصص كل هذا الوقت لفهم السياق.

ووصف أحد من أُجريت معهم المقابلات هذا الوقت بأنه ترف. ويثير هذا صراعًا مهمًا: إذا كان فهم السياقات الحضرية يلزمه وقت، وهذا الوقت غير متوفر في الواقع، فكيف يمكننا المضي قدمًا؟

الحواجز المتعلقة بطبيعة المشكلة

العامل الأخير الذي يعيق الوصول إلى فهم أعمق للسياقات الحضرية هو طبيعة المشكلة نفسها. إن عمق واتساع التغييرات المطلوبة يعني أن فهم السياقات الحضرية هو "تحدٍ يستلزم تكيف" وليس "مشكلة فنية". وعلى عكس المشاكل الفنية التي قد يكون لها إجابات سريعة وسهلة مقدَّمة من قبل خبير أو ناتجة عن أفضل الممارسات، فإن التحديات التي تستلزم تكيف تتطلب وقتًا لتحديد الأسباب والأبعاد؛ وتحتاج إلى تغيير في المواقف أو المناهج عبر أماكن ومنظمات عديدة؛ وغالبًا ما تواجه مقاومة (Bowman et al., 2015).

وبالإضافة إلى ذلك، فنحن مقيَّدون بسبب طبيعة أصحاب المصالح الآخرين في بيئة حضرية، والتصورات التي قد تكون لديهم عنَّا. كما أشار كوريون (2015)، "في هذه المساحات الحضرية ... فنحن أصحاب مصلحة من بين كثيرين ونحن أكثر اعتمادًا على أصحاب المصالح الآخرين مقارنةً بما نحن عليه في المناطق الريفية أو المخيمات، ولذا فإن كل الفهم في العالم لا يمكنه في الواقع أن يساعدنا على وضع برامج أكثر فعالية وملاءمة". إن الكثير من أصحاب المصالح الذين يجب علينا الانخراط معهم في سياق حضري قد يكونون منهمكين جداً ومستنزفين، وقد لا يكون أداؤهم جيدًا – أو قد تكون فعاليتهم معدومة. كما أنهم يعانون أيضًا من نفس العزل القائم بين المجموعات المختلفة الذي يعاني منه العاملون في المجال الإنساني. وكما أشار أحد من أُجريت معهم المقابلات، *"إن كل واحدة من السلطات البلدية التي تواصلت معها تعاني في فهم النظام بأكمله، لأن لديهم نفس المشكلة التي لدينا، أو مشكلة مشابهة، وهي أنهم يقومون بإجراء عزل وفقًا لمسؤوليات الوزارة أو للمسؤوليات الإدارية"*. كما أننا نتأثر بوجهة نظر الآخرين عنَّا في البيئة الحضرية القائمة حاليًا. قد تعتقد الحكومات والمجتمعات المتأثرة بالكوارث (بناءً على خبراتهم أو تصوراتهم السابقة) أن العاملين في المجال الإنساني موجودون لتوزيع الإمدادات، و *"لا يستطيعون تقديم المساعدة الحقيقية... في إعادة تشغيل نظام المياه في المناطق الحضرية، أو تدبير رسوم الإشتراك لنصف المدينة"*، كما قال أحد من أجريت معهم المقابلات.

٧. الختام

في نواحٍ كثيرة، يخفق العاملون في المجال الإنساني في فهم السياقات الحضرية في الوقت الراهن - مما يثير التساؤل حول كيفية معالجة هذه الفجوة. قد يساعد التفكير في النظم الحضرية العاملين في المجال الإنساني على التعامل مع كثافة المدينة وتنوعها وديناميتها. من خلال التأكيد على الترابط بين البيئات الحضرية، يوفر النهج النظمي إطارًا مفيداً ليس فقط لدراسة أجزاء النظام، بل أيضاً لدراسته ككل. ومع ذلك، يتطلب التفكير ضمن أطر النظم تغييرًا في مقاربتنا للمدينة.

٧,١ الخطوات المقبلة

هذه الورقة هي الناتج الأول لمشروع بحثي أوسع. بالتركيز على طبيعة السياقات الحضرية، عكست هذه الورقة كيف يمكن تصور المناطق الحضرية كنظم، وربما كنظم معقدة. فقد ركزت على الحاجة إلى "أخذ مسافة" كخطوة أولى نحو تغيير مقاربتنا للسياقات الحضرية. كما اعترفت بأهمية إجراء تغييرات عملية وتغييرات على نطاق المنظومة ككل بالنسبة لكيفية تقدمنا واستجابتنا بفعالية للأزمات الحضرية.

في بداية البحث، سعينا إلى تحديد الأدوات أو المناهج التشغيلية التي يمكن أن تساعد المنظمات على فهم هذه القضايا في الاستجابة الإنسانية في المناطق الحضرية. في بداية البحث، سعينا إلى تحديد الأدوات أو المناهج التشغيلية التي يمكن أن تساعد المنظمات على فهم هذه القضايا في الاستجابة الإنسانية في المناطق الحضرية. هناك عدد من المبادرات القائمة، ونحن ممتنون بشكلٍ خاص ل"برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية" (UN Habitat)، و"اللجنة الدولية للإنقاذ" (IRC)، و"منظمة إنقاذ الطفولة" (Save the Children)، لمشاركتهم معنا تفاصيل الأدوات التي يطورها كل منهم. تنطوي الأدوات على قدرة هائلة على مساعدة المنظمات على معالجة بعض التحديات التي تناولناها. ومع ذلك، فهي لا تمثل إلا جزءًا من الحل. كما أننا بحاجة إلى تحديد سبل لتغيير أساليب التفكير المترسخة في الأفراد، وكسر الحواجز المؤسسية.

وهناك أيضًا عدد من الأسئلة التي تتبع منطقيًا مقولة "يجب أن نفهم هذا بصورة أفضل". الأول هو: أين نرسم الخطوط؟ يسأل Bowman et al. (2015: 8) : "إن كان كل شيء في النظم مترابطاً، وإن كانت النظم المختلفة هي نفسها مترابطة، فهل يعني ذلك أن برامجنا يجب أن تتطرق إلى كل شيء؟ قد يكون هناك توتر بين 'التفكير بشكل طموح جداً' ومحاولة الحصول على الموارد والاحتفاظ بالتركيز." ما هو التعلم المطلوب فعلاً، وكيف يمكننا الحصول عليه؟ وبالمثل، كيف يمكننا تجنب "شلل التحليل" (Bowman et al., 2015) وتحديد أولويات فهمنا بشكلٍ فعال، ولكن من الناحية العملية؟ وأخيرًا، كيف قد تبدو هذه التغيرات فعلاً: كيف يبدو، من الناحية العملية، النهج مُكيَّف، وما الذي نحتاجه لدعم ذلك من الجهات المانحة والأوساط الأكاديمية والمقيِّمون وغيرهم؟ ما هي الأمثلة الملموسة على القيام بذلك على نحو فعال - وما الذي جعلها فعالة؟

سوف تتجاوز المرحلة المقبلة من هذه المبادرة البحثية النظر في ما نحتاج إلى فهمه، وتركز على كيف يمكننا بلوغ هذا الفهم. وسوف تركز على كيفية "تقدم إلى الأمام" في ما يخص الاستجابة الإنسانية في المناطق الحضرية، وستحاول معالجة الأسئلة التي طرحت هنا، وتواصل استكشاف الأدوات الناشئة والمواد الإرشادية التي يجري تطويرها، وكذلك كيف يمكنللتدريب وتغيير السياسات وإجراء مزيد من البحوث أن يكونوا مكمِّلين لذلك.

يمكن للمهتمين أن يتتبعوا العمل البحثي ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP) في المناطق الحضرية على الموقع الإلكتروني www.alnap.org/what-we-do/urban.

التعليقات الختامية

١. المصطلحات المستخدمة في البحث عن الوثائق: "النظام الحضري"، و"أصحاب المصالح في المناطق الحضرية"، و"فهم المناطق الحضرية"، و"العمل مع/في المناطق الحضرية"، و"تحليل السياقات الحضرية"، و"التعقيد في المناطق الحضرية".

٢. تعود نظرية النظم إلى الثلاثينات من القرن العشرين. تستخدم هذه الورقة جوانب رئيسية من نظرية النظم كوسيلة لفهم النظم الحضرية، ولكنها لا تحاول القيام بتحليل شامل أو أي نقد وتركز بدلاً من ذلك على التطبيق العملي. لمعرفة المزيد عن نظرية النظم، انظر Ramalingam and Jones ،Meadows (2008) (2008) و Bowman et al. (2015). "النظم الحضرية" هي أيضًا قاعدة نظرية مهمة، وقد سمح استعراض المؤلفات تحديد عدد من الوثائق المتعلقة "النظم الحضرية". ومع ذلك، فإن معظمها يركز على الترابط بين المدن، وكيف أن كل مدينة تكون داخل نظام أوسع. وعلى هذا النحو، فإن الكثير من هذه الوثائق لا يمت بصلة إلى هذه الورقة، والتي تركز على الأنظمة داخل المدن، بينما تعترف أيضًا بأن المدن نفسها هي جزء من نظام أوسع، وبأهمية النظر في نطاقات مختلفة من التحليل. لمعرفة المزيد عن نظرية النظم، انظر Bretagnolle et al. (2009).

٣. اقتُبست هذه القصة من ميدوز (2008)، كما تظهر في العديد من التقاليد والنصوص الثقافية في جميع أنحاء العالم.

٤. يعرض الملحق 1 مصفوفة توضح 15 إطارًا/نموذجًا تم استعراضه، و الطريقة التي تم عرضها بواسطة هذه الأصناف.

٥. لمعرفة المزيد، انظر ندوة "شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" عبر الإنترنت بشأن هذه القضية: www.alnap.org/webinar/23

٦. انظر الوثائق الصادرة عن "مبادرات إمباكت" (Impact Initiatives) و"منظمة المدن والحكومات المحلية المتحدة" (UCLG) في الببليوغرافيا.

ملحق ١ : مصفوفة أُطر/نماذج النظم الحضرية

المصدر	الإطار/النموذج	السياسة
Butina Watson, (2016) من Roberts (2009)	مرونة المدينة كنظام	السياسة والحوكمة، المجتمع المدني
Gupte and Commins (2016)	إطار حلول المشاكل البيئية والاقتصادية (STEEP)	السياسي
ARUP (2016)	إطار مرونة المدينة	القيادة والاستراتيجية
Meerow et al. (2016)	التخطيطي المفاهيمي "للنظام" الحضري	الحوكمة
Grünewald (2011)	الأبعاد المتعددة للسياقات الحضرية	السياسي المجتمعي
"موئل الأمم المتحدة" (2015e)	نهج نموذج النظم الحضرية	المرونة التنظيمية الأخطار السياسية
da Silva et al. (2012)	النموذج المفاهيمي المبسط للنظام الحضري	المؤسسية
US Marine Corps (2014)	PMESII-PT المتغيرات التشغيلية	السياسي العسكري
Lautze and Raven-Roberts (2009)	Asset Pentagon	الاجتماعي/السياسي
Meaux and Osofisan (2016)	مواضيع تحليل السياق الحضري	الحوكمة والسلطة
"برنامج المستوطنات البشرية للأمم المتحدة" في لبنان (UN Habitat Lebanon) (2016)	مواضيع لتصنيف المدينة والحي	الحوكمة
Sitko (2016a, 2016b)	النظم المعقدة القابلة للتكيف والطبقات المورفولوجية	الحوكمة
Laurini (2001)	توجيه النظام الفرعي للمدينة	
المستطلَع، الأمانة المشتركة بين الوكالات للاستراتيجية الدولية للحد من الكوارث (UNISDR)	لا يوجد	الحوكمة
Luff (2016)	العوامل البارزة في المناطق الحضرية	أصحاب المصالح الجدد

*يحتوي هذا الإطار على أحد العناصر التي لا تناسب الجدول: المساواة بين الأجيال.

الاقتصاد وسبل العيش	الاجتماعي والثقافي	البنية التحتية والخدمات	الحيز المكاني والمستوطنات
القضايا الاقتصادية	القضايا الإنسانية الاجتماعية	المحركات التقنية	البيئي
الاقتصادي	الاجتماعي	التقني	البيئي
الاقتصاد والمجتمع		البنية التحتية والبيئة	
	الصحة والرفاهية		
الديناميات الاجتماعية الاقتصادية شبكة الموادوتدفقات الطاقة		البنية التحتية والشكل	
الاقتصادي	الديموغرافي التاريخي الاجتماعي		البيئي
المرونة الوظيفية الأخطار الاقتصادية	الأخطار الاجتماعية	المرونة البدنية الأخطار التقنية	المرونة المكانية الأخطار الطبيعية
	المعرفة	البنية التحتية	
الاقتصادي	الاجتماعي المعلومات	البنية التحتية	
المالي	البشري	مادي	الطبيعي
النظم الاقتصادية وسبل العيش	الضعف، والصراع، والاجتماعي	النظم الحضرية تقديم الخدمة	النظم الحضرية (التحليل المكاني)
الخدمات، البنية التحتية، سبل العيش	الأشخاص	الخدمات، البنية التحتية، سبل العيش	
الاقتصادي	الاجتماعي	طبقة المباني والخدمات	الطبقة الطبوغرافية طبقة الأماكن العامة طبقة المخططات
التوظيف الموازنة	السكان	الانتقالات الخدمات العامة	السكن استخدام الأراضي البيئة
الاقتصادي	الاجتماعي	البنية التحتية	
السوق	الأشخاص/المجتمع	طبيعة الحيز الحضري	

ملحق ٢: قائمة بمن أُجريت معهم المقابلات

إدي أرجينال

ليزي بابستر

شيما بيجي

سونيا بن علي

سين بارجبي

أندراش بسترتشيه

سارة برينان

آلان براودر

كاترين بران

آن بيرلات

إميلي كول

بول كوريون

جوزيف دي كروز

فيليب ديكورت

جيم ديفرانشيسكا

لوسي إيرل

جهاد فرح

آيمي جيل

أزرا جلين

باتريشيا هولي

كارين جاكوبسن

أينور كاديحسنغلو

جيرولد كيدين

سيلين كورير

كريستين لطيف

آن لي

ريتشارد لوف

سوزان ماجواير

وليام مارتن

أنسا مسعود

أندرو مو

جلال مزيدي

حلمي محمد

إيان أودونيل

دانيال أولشر

والي أوزوفيزان

أبهيلاش باندا

روناك باتل

لورا فيلبس

بريجيت بيكارد

لوكا بيوبيلان

ألين رحباني

جيمي ريتشاردسون

سامر صليبة

ديفيد ساندرسون

ديفيد ساترثويت

جراهام سوندرز

كيفين سافاج

سامر شندر

لويزا سيفاريس

باميلا سيتكو

ديفيد سميث

مارغريت ستانسبري

ديفيد سويتنج

أومبريتا تمبرا

كيلوج ثيرازمي

جايا فان دير إيش

كلاي ويستروب

منشورات ذات صلة ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP)

تقارير سابقة ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP) عن التدخلات

الإنسانية الحضرية في حالات العنف في المناطق الحضرية

مواجهة التحدي الحضري:
تكييف الجهود الإنسانية مع العالم الحضري

منشورات أخرى ل"شبكة التعلم الإيجابي للمساءلة والأداء" (ALNAP)

حالة منظومة العمل الإنساني 2013

www.alnap.org

ALNAP
Overseas Development Institute
Blackfriars Road 203
8NJ London SE1
United Kingdom

alnap@alnap.org